الجامعـــة الأردنيـــة
كلية الآداب
قسم اللغـة العربية وآدابها

المنهـج النفسي عند النقاد المصريّين المعاصرين

اعـداد الطالـب
بسّـام موسى عبد الرحمن قطّـوس

المشـــرف
الاستاذ الدكتـور محمـود السّمرة
أستاذ النقد والبلاغة بالجامعـة الاردنيـة

٥٣٧٧١

(قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بالجامعة الاردنية) سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــــــداء

الى والدَيّ المكريمين القابضين على مفتاح بيتنا الساهر في قريتنا التي ما زالت تنام على حزنها القديم ،

والى اثنين أقرأ في عيونهما مستقبل ذلك البيت :

ولدَيّ الحبيبين : ضيـاء و مجـد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكـــر وتقديـــر

هذا البحث وصاحبه مدينان للأستاذ الدكتور محمود السمرة بالشيء الكثير . فقد شمل الباحث برعايته وتوجيهه ،والبحث بنقده ومناقشته ، وصحبه منذ كان فكرة الى أن استوى بين دفتي كتاب .

وحسبي في هذه المجالة أن أتوجه لاستاذي الدكتور قائلا :

إن هذا البحث ثمرة من ثمار غرسك وغيض من فيض علمك ،أعود به - على استحياء منك - اليك ولا أهديكه ،فمثلك أجلّ من أن يهدى مثله . جزاك الله أبا الرائد خير الجزاء عما قدمت وتقدم للعلم .

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى كل من مد يد العون لهذا البحث وأخص بالذكر :

الاستاذ محمد علي أبو حمدة ، والدكتور محمد بركات أبوعلي ، والدكتور خالد الكركي ،والاستاذ محمد سمحان ، وضرغام الجلماوي ،والسيد نبيل الشيخ .

وان الامانة العلمية تفرض علي أن أتقدم بالشكر والامتنان لموظفي مكتبة الجامعة الاردنية ،ولمركز الوثائق والمخطوطات ، لما يقدمونه من عون للباحثين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحـــــتويـات

××××××××××××

مقدمة : البحث : أهدافه ، منهجه ، مصادره .

تمهيد : ١ . المنهج النفسي : ١ ـ ٢٦

أ) معناه ١ ـ ٣

ب) بدايته ٣ ـ ٦

ج) كيفية ظهوره ٦ ـ ٧

٢ . مساهمة علماء النفس في بناء المنهج النفسي : ٧ ـ ١٤

أ) مساهمة سيجموند فرويد ٨ ـ ١١

ب) مساهمة كارل يونج ١٢ـ ١٣

ج) مساهمة ألفرد إدلر ١٣ـ ١٤

٣ . مساهمة النقاد الغربيين في : ١٥ـ ٢٠

أ) انجلتـرا ١٥ـ ١٧

ب) فرنســا ١٧ ـ ١٩

ج) أمريكيـا ١٩ـ ٢٠

٤ . المنهج النفسي في مصر ٢٠ ـ ٢٦

الفصل الاول : علم النفس والادب : ٢٧ـ ٧٤

أ) الصلـة بين الادب والنفـس ٢٧ ـ ٢٩

ب) الصلة بين الادب وعلم النفس ٢٩ـ ٣٠

ج) آراء بعض المفكرين والنقاد الغربيين في العلاقة بين ٣٠ـ ٣٣
الادب وعلم النفس :

(١) كارل يونج ٣٠ـ ٣١

(٢) دراكوليدس ٣١ـ ٣٢

(٣) هربرت ريـد ٣٢ـ ٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د) آراء بعض النقاد العرب في العلاقة بين الادب ٣٣ـ ٣٧
وعلم النفس :
(١) محمد خلف الله أحمد ٣٣ ـ ٣٤
(٢) عز الدين اسماعيل ٣٤ـ ٣٥
(٣) سامي الدروبي ٣٥ـ ٣٦
(٤) محمود السمرة ٣٦ـ ٣٧
هـ) الابداع الفني ووجهة نظر مدرسة التحليل النفسي ٣٨ ـ ٥١
و) منهجان في تحليل الفن يمثلان صلة الادب ٥٢ـ ٧٤
بعلم النفس :
الاول :
الباثوغرافيا (المرض العصبي) ، أو دراسة الشخص ٥٢ـ ٦٠
المريض نفسيا ، واتخاذ انتاجه الفني هاديا له في
الدراسة .
الثاني :
التحليل النفسي للأدب ، أو دراسة الاثر الأدبي ٦٠ـ ٧١
دراسة تحليليّة نفسيّة .
ز) خلاصة رأي الدارس في موضوع الصلة بين الأدب ٧٢ ـ ٧٤
وعلم النفس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني : علم النفس والنقد الأدبي في مصر : ٧٥ـ ١١١
أ) حديث علم ٧٥ ـ ٧٦
ب) النقد الأدبي بين العلم والفن ٧٦ـ ٧٨
ج) موقف النقاد المصريين من علم النفس : ٧٩ـ ٨٤
١ . محمد خلف الله أحمد ٧٩
٢ . محمد مندور ٧٩ـ ٨٠
٣ . محمد النويهي ٨٠ ـ ٨٢
٤ . طه حسين ٨٢ . ٨٤
د) آراء بعض القاصدين من النقاد المصريين : ٨٤ـ ٨٨
١ . شوقي ضيف ٨٤ـ ٨٥
٢ . سيّد قطب ٨٦ـ ٨٧
٣ . ماهر حسن فهمي ٨٧ـ ٨٧
هـ) رأي الدارس ٨٧ـ ٨٨
و) المنهج النفسي عند النقاد المصريين : ٨٩ـ ١١١
أولا :
الاتجاه نحو الاستضاءة بعلم النفس ٨٩ـ ١٠٢
ثانيا :
الاتجاه نحو الدعوة للمنهج النفسي وتطبيقه ١٠٣ـ ١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث : نماذج من الدراسات النقدية التي طبقت ١١٢ـ ١٥١
المنهج النفسي :
أولا :
" نفسية أبي نواس " لمحمد النويهي : ١١٣ـ ١٢٩
أ) عرض وتلخيص: ١١٣ـ ١١٩
ب) آراء بعض النقاد ١٢٠ـ ١٢٤
ج) مناقشة النويهي ، ووجهة نظر الدارس ١٢٤ـ ١٢٩
ثانيا :
"أبو نواس : الحسن بن هانيء " عباس محمود العقاد : ١٣٠ـ ١٣٦
أ) عرض وتلخيص ١٣٠ـ ١٣٢
ب) رأى طه حسين ١٣٣ـ ١٣٤
ج) مناقشة العقاد ، ورأى الدارس . ١٣٤ـ ١٣٦
ثالثا :
" التفسير النفسي للأدب " لعز الدين اسماعيل : ١٣٧ـ ١٥١
أ) نموذج من الشعر المعاصر ١٣٧ـ ١٤٠
ب) نموذج مسرحي ١٤١ـ ١٤٤
ج) نموذج روائي ١٤٥ـ ١٤٨
د) مناقشة عز الدين اسماعيل ورأى الدارس ١٤٨ـ ١٥١
خاتمة : ١٥٢ـ ١٥٣
ثبت المصادر والمراجع : ١٥٤ـ ١٦٦
==========
خلاصة البحث باللغة الانجليزية :
==========

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة :

البحث : أهدافه ، منهجه ، مصادره

حاولت في هذه الدراسة أن أبين نشأة منهج من مناهج النقد الادبي الحديث في مصر : هو المنهج النفسي ، باعتباره مظهرا من المظاهر الجديدة للنقد الأدبي الحديث . وذلك وحده : أعني تحديد هذه النشأة هدف علمي يقصد لذاته ، ويستحق العناية والدرس . وحاولت أيضا بيان موقع أبرز من شارك في بناء هذا المنهج . وحاولت أن أرى الى أي مدى نجح هؤلاء النقّاد في تطبيق ذلك المنهج . وهل يمكن اعتماده منهجا نقديا يقوم بمفرده ؟ أو بمعنى آخر : هل يستطيع المنهج النفسي أن يفسر العمل الأدبي من جميع جوانبه ، فيشرح لنا سبب جمال نص ما وروعته ، أو سبب قبح نص آخر ؟ والى أي مدى يمكن أن يساعدنا هذا المنهج في فهم الآثار الادبية والحكم عليها ؟

ولعل من أهم الدوافع التي شجعتني على تناول هذا الموضوع أنه لم يدرس دراسة علمية شاملة ، ولم يتتبع تتبعا تاريخيا دقيقا ، بحيث يعطي صورة عن الروّاد المصريين لهذا المنهج ، وعمّن جاء بعدهم . وكل ما كتب حول الموضوع لا يعدو أن يكون وصفا نظريا لهذا المنهج . فقد وقفت عند ما كتبه سيّد قطب(١) عن المنهج النفسي ، إذ تتبع نشأته عند النقاد العرب : قدامى ومحدثين تتبعا سريعا ومجملا ، ولم يضع النقّاد المصريين في مواضعهم الصحيحة ، وانما تحدث عن بعضهم بشكل عام واغفل بعضهم الآخر . كما أنه لم ينظمهم حسب ما قدّم كل واحد ، أو حسب الاتجاه الغالب على كل واحد منهم .

ووقفت عند ما كتبه ماهر حسن فهمي (٢) في الفصل الذي تحدث فيه عن المذهب النفسي ، فرأيته يقف عند بعض الدراسات المصرية التي استفادت من علم النفس في تفسير بعض الظواهر الفنية . ولكن وقفاته تلك لم ينظمها خط واحد أو وحدة عامة تجمع النقّاد

---

١) سيد قطب ، النقد الادبي : أصوله ومناهجه ، ؟ ١٩٤٧م

٢) ماهر حسن فهمي ، المذاهب النقدية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصريين وتضع كل واحد في موضعه الذى يستحق ، وانما جاء الحديث عاما غير متخصص. ووقفت عند ما كتبه أحمد كمال زكي (١) حول اتجاهات النقد الأدبي الحديث . ومع أن ما كتبه أحمد كمال زكي يعتبر - حسب رأيي - أوفى ما كتب عن المنهج النفسي ، إلا أنه غير متخصص في النقّاد المصريين . فقد تحدث عن الاتجاه النفسي من ضمن حديثه عن الاتجاهات الاخرى . لقد عرض لبداية النقد القائم على التحليل النفسي ، وذكر ذكرا سريعا وموجزا عددا من النقّاد الغربيين الذين اعتمدوا ذلك المنهج . ثم انتقل يذكر عددا من النقاد المصريين ، ولكنه لم يدرس كتبهم ومؤلفاتهم دراسة واعية متعمقة ، وانما وصف محاولاتهم وصفا نظريا .

ولست أريد أن يفهم من كلامي أن هذه الدراسات غير ذات جدوى ، فقد أفاد الباحث منها فائدة كبيرة تارة لاختلاف مناهج أصحابها ، وتفاوت نظرتهم الى ذلك المنهج ، واخرى باعتبارها مفاتيح تدل على أصحاب ذلك المنهج .

لهذا رأيت أن الموضوع ما زال بحاجة الى دراسة علمية توفيه ما يستحق .

ومكان هذه الدراسة هو البلاد المصرية . ولعل اختيار هذا المكان له مبرراته من حيث ان مصر كانت أسبق البلاد العربية اتصالا بالغرب وثقافته ومناهجه ، ومن حيث وضوح مظاهر هذا المنهج فيها اكثر من غيرها من البلاد العربية .

أما زمانه فهو مقرون بالمعاصرة . وقد نظرت الى النقاد المصريين الذين امتد وجودهم بين سنة (١٩١٤م) وحتى وقتنا الحاضر على اعتبار انهم معاصرون ، وذلك لان بوادر الاتجاه نحو الاستضاءة بعلم النفس في النقد الادبي بدأت في مصر سنة (١٩١٤م) ، ثم اخذت تمتد حتى وقتنا الحاضر .

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة فصول وتمهيد وخاتمة . وقفت في التمهيد عند التعريف بالمنهج النفسي ، وكيفية دخوله الى الدراسات الادبية والنقدية في العالم ، ثم كيفية دخوله الى مصر . وتحدثت عن علماء النفس الذين كان لهم أثر كبير في بناء المنهج النفسي .

---

١) أحمد كمال زكي ، النقد الادبي الحديث : أصوله واتجاهاته ، ص ٢٤٧ - ٢٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخصصت (الفصل الاول) للحديث عن العلاقة بين علم النفس والادب ، فتحدثت عن طبيعة تلك العلاقة ، ومداها ، والنتائج المترتبة على التفاعل بين الأدب وعلم النفس . ثم عنيت برسم صورة واضحة لبعض جوانب من الواقع العملي الذى نجم عن التقاء الأدب بعلم النفس . وأخيرا قدّمت رأيا في أمر هذه العلاقة .

وذهب (الفصل الثاني) الذى كان بعنوان "علم النفس والنقد الأدبي في مصر" يتحدث عن دخول علم النفس ميدان النقد الأدبي في مصر . فعرضت جوانب من موقف النقاد المصريين المعاصرين من علم النفس ، فكانوا بين مؤيد ، ورافض ، وقاصد . ثم تحدّثت عن اتجاهات النقاد الذين طبقوا المنهج ، فرأيتهم ينتمون الى اتجاهين هما : الاتجاه نحو الاستضاءة ببعض المعارف النفسية ، والاتجاه الى تطبيق المنهج النفسي . وقد وضحت كل جماعة في الاتجاه الذى غلب عليهم .

أما (الفصل الثالث) فقد درست فيه ثلاثة من أعلام المنهج النفسي هم : محمد النويهي في "نفسية أبي نواس" ، وعباس محمود العقاد في "أبو نواس" ، وعز الدين اسماعيل في " التفسير النفسي للادب " . وقد قمت بعرض هذه الدراسات ومناقشتها بالمقارنة بآراء النقاد الآخرين .

وقد رأيت أن يكون المنهج التكاملي رائدى في هذه الدراسة لسببين :

الاول : أن المنهج التكاملي يجمع كل المناهج النقدية ويفيد منها ، بما يعمّق تناول النص المدروس من زواياه الفنية والنفسية والتاريخية وغيرها .

الثاني : اعتقادى أن المناهج في النقد تكون أكثر فائدة حين تتخذ منارات ومعالم يستضاء بها ، بينما تفقد كثيرا من فوائدها حين يقيّد الباحث نفسه بها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من أهم مصادر البحث كتب الروّاد الاوائل لهذا المنهج وهم : أمين الخولي (١) ومحمد خلف الله أحمد (٢) ، وعباس محمود العقاد (٣) ، ومحمد النويهي (٤) ، كما أفدت كثيرا من كتاب الدكتور عز الدين اسماعيل (٥) " التفسير النفسي للأدب " ،باعتباره من المصادر المهمة التي تحدثت عن العلاقة بين علم النفس والادب من الوجهتين النظرية والتطبيقية .

---

١) أمين الخولي ،رأى في أبي العلاء : جماعة الكتاب ،١٩٤٥م.

٢) محمد خلف الله أحمد ،من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده ،القاهرة، ١٩٤٧م.

٣) عباس محمود العقاد ،أبو نواس : الحسن بن هانيء ،القاهرة : دار الهلال، د.ت .

٤) محمد النويهي ،نفسية أبي نواس ،القاهرة ،١٩٥٣م.

٥) عز الدين اسماعيل ،التفسير النفسي للأدب ، القاهرة ،دار المعارف ، ١٩٦٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــد :

يأتي هذا التمهيد تقدمة ضرورية ،لتوضيح المقصود بالمنهـــــج النفسي ، وكيف بدأ بالتسرب والدخول الى الدراسات الأدبية والنقديـــــة في كل من فرنسا وأمريكا وأنجلترا ،ثم كيف بدأت جذوره تمتد لتدخل الـــــى الدراسات الأدبية والنقدية في مصر : موطن هذه الدراسة .

أ - المقصود بالمنهج النفسي :

تقوم فكرة التحليل النفسي على أساس التسليم بنظريـــــة العقل الباطن ،التي تفترض تقسيم الحياة العقلية الى قسمين همـــــا : العقل الظاهر أو الشعور The Conscious ، والعقل الباطـــــن أو اللاشعور The un Conscious. وتقوم هذه النظرية على أســـاس أن تفكيرنا الظاهر ،وتصرفاتنا الشعورية ،ما هي الا نتيجة عمليـــــات نفسية لا شعورية ،تجرى في العقل الباطن مستقلـــة عن إرادتنـــــا ويمكن التدليل على وجود العقل الباطن باجراءات التحليل النفســـي ، وبظواهر التنويم والأحلام ،والظواهر النفسية الشاذة أو المرضيـــة (١).

وينتهي التحليل النفسيّ الى أن الابداع الأدبي ليـــــس الا حالة خاصّـة قابلة للتحليل ،لأنّ كلّ عمل فنيّ ينتج عن سبب نفســـيّ ، ويحتوى على مضمون ظاهر ،ومضمون خاف ،مثله مثل الحلم : أى انـــــه

---

(١) سيجموند فرويد ، تفسير الأحلام ،ط٤ ، ترجمة مصطفى صفوان ،ومراجعـة مصطفى زيور (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م) ، ص ص ٥٩ - ٦٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انعكاس لنفس المؤلف . ولأنّ الابداع الفنيّ غالبا ما يكون انعكاسا لأسباب لم يكن المؤلف واعيا بها حين أبدع عطه الفنيّ ، فقد وجدنا من يعرّف التحليل النفسيّ للأدب ، "بأنه تحليل المضمون الخافي للعمل الأدبي."(١) وهذا التعريف مع أنه يشير الى جزء يسير من الحقيقة ، الا أنّه يهمل الدوافع الواعية في ابداع العمل الفنيّ . ويرى محمود السمرة أن الابداع الفنيّ ينتج عن مزيج من الدوافع الواعية ، والدوافع غير الواعية . فهو يدرك أن التحليل النفسيّ للأدب هو تحليل لأعمق الدوافع الكامنة في نفس المبدع ، وترجمة ما بقي مستترا في لا وعيه ، ولكنّه لا يهمل الدوافع الواعية ، سواء تلك الخارجة عن نطاق العمل الابداعي : كالرغبة في الكسب المادي والشهرة ، أو تلك التي تدخل في عطية الابداع : كالالتزام بقواعد البناء الفنيّ ، والتقسيم الى فصول ومناظر ، واجراء الحوار (٢) . ونحن نميل للأخذ بالرأي الثاني ، لأننا نرى بأن الدوافع الى الكتابة والابداع كثيرة ومتعددة ، قد يشترك فيها كثير من العناصر الشعورية واللاشعورية . ولذلك يجد كثير من المبدعين صعوبة في تحديد ما هيّة الابداع ، وكل ما يستطيعونه هو وصف الظروف التي فاجأهم بها إلهامهم ، ووصف مرحلة التعبير عن هذا الالهام (٣) . وربما لهذا السبب نفسه - أي عدم قدرة المبدع على تحديد ما هيّة الابداع - وجدنا بعض الباحثين

---

(١) سامية أحمد أسعد ، في الأدب الفرنسي المعاصر (الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٦) ، ص ٧٥ .

(٢) محمود السّمرة ، في النقد الأدبي (بيروت : الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٤) ، ص ص ٨٦ - ٨٨ .

(٣) انظر : محمود السّمرة ، المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشبهون الانتاج الفنيّ بعملية الولادة ، فكما أن كثيرا من التطورات البيولوجية تطرأ على المرأة أثناء الحمل دون أن تكون لها حدود في حدوثها ، فانّ هناك كثيرا من الأحداث الباطنية تتحقق في أعماق نفس الفنان - أثناء الابداع الفنيّ - دون أن يكون على علم واضح بما يحدث في نفسه (١).

ب - بداية المنهج النفسيّ :

قبل أن نتحدث عن بداية المنهج النفسيّ في الأدب والنقد ، يجب أن نفرق بين النزعة النفسية في فهم الأدب ، وبين المنهج النفسيّ ، ذلك أن بينهما فرقا كبيرا . فالنزعة النفسيّة في فهم الأدب ، نقصد بها تدخل الملاحظة النفسية والتنبّه الى بعض النواحي النفسيّة في العمل الأدبي ، دون الاعتماد على مفاهيم ونظريات علم النفس الحديث . وهذه النزعة وجدت عند بعض نقّادنا العرب القدماء : كابن قتيبة (٢٧٦هـ) ، والقاضي الجرجاني (٣٦٦هـ) ، اللذين اتخذا التأثير النفسيّ أحد المقاييس النقدية في حكمهم ، " فقاسوا النص الأدبي بمقدار ما يحدثه في النفس من أثر ، وما يوحي به من شعور(٢) " ويرى عز الدين اسماعيل أن كثيرين من النقّاد والبلاغيين العرب قد لمسوا مظاهر العلاقة بين الأدب

---

(١) زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن (دار مصر للطباعة ، د . ت) ، ص ١٦٢ .

(٢) منصور عبد الرحمن ، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ، (القاهرة : الأنجلو مصرية ، ١٩٧٧م) ، ص ٤٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنفس ،غير أن كتابات هؤلاء لم تتجاوز مرحلة الاحساس المبهم الى الشرح الموضوعي ،ولذلك لم يحدّدوا معالم التجربة الفنية ، كما أنهم لم يشرحوا لماذا تتأثر النفس بهذا العمل الأدبي شرحا علميا موضوعيا (١).

أما المنهج النفسي في النقد ، فنقصد به المنهج الذي يعتمد في فهم أسرار الأدب ونقده على نظريات علم النفس التي جاء بها فرويد وتعمقه فيها عدد من علماء النفس . وهذا المنهج لم يكن موجودا في أدبنا العربي القديم ،ولكنّه وجد حديثا في النقد الأدبي ،وذلك بعد أن تعرّف فرويد (١٩٠٠م) الى أهمية منطقة (اللاشعور) في عملية الخلق والابداع الفنيّ ،وبعد أن تناول بالتحليل والنقد أعمالا أدبية خالدة ، وفنانين عظاما (٢) ومن هنا يتضح الفرق بينهما ،فاذا كان المصطلح الأول يشير الى نظرة فنية خالصة ،والى نوع من التنبّه لبعض النواحي النفسيّة ،فانّ المصطلح الثاني يستند الى علم النفس ،ونظرياته العلمية .

يرجع بعض الباحثين بداية النقد النفسيّ الى أرسطو ،فهذا ستانلي هايمن يقول : " وقليل هم الذين يستحقّون الذكر من النقاد النفسيين قبل فرويد ،وأكثرهم أهمية - بالطبع - أرسطو الصدر الأول لعلم النفس، والنقد النفسيّ للأدب " (٣) غير أننا نرى في نسبة النقد النفسيّ الى

---

(١) عزالدين اسماعيل ، التفسير النفسيّ للأدب (القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٢) ،ص ١٤ .

(٢) انظر : محمود السمرة ،في النقد الأدبي ، ص ٨٥ .

(٣) ستانلي هايمن ، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ،ج ١ ،ترجمة احسان عباس ،يوسف نجم (بيروت : دار الثقافة ،١٩٥٨م) ،ص ٢٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرسطو بالغة كبيرة ، ذلك أن أرسطو لم يكن يقصد في ذلك الوقت الى ايجاد علم مقنن كما فعل فرويد فيما بعد . إننا نجد أن محاولة أرسطو اقتصرت على البحث عن أثر المأساة في الجمهور ، للرد على أفلاطون الذى نادى بأن الشعر يغذّى العواطف ، وانه لذلك ذو أثر ضار اجتماعيا ، فجاء بمفهوم (التطهير) (١) الذى يحدثه الفن في النفس البشريّة . ومعنى هذا ان اهتمام أرسطو لم يكن منصبا على كيفية انتاج الكتاب المسرحيين للمآسي ، بل كان مهتما بما هيّة المسرحيات التراجيديّة (٢) . أما الاهتمام بكيفية انتاج الكتاب - وهذا ما ركز عليه التحليل النفسيّ للأدب - فهو مدين لفرويد ولبعض مدارس علم النفس. ولهذا فنحن نرى أن محاولة أرسطو تبقى - في حدود ما وضعها عز الدين اسماعيل - "أول محاولة تتجنب العبارات الفضفاضة في شرح العلاقة بين الأدب والنفس ، والا تنتقال من مجرد الاحساس المبهم الى الادراك ، على أساس من المعرفة شبه العلمية" (٣) ولعل مما يؤكد ما ذهبت اليه من أن محاولة أرسطو تبقى في حدود المحاولة الأولى ، التي لم تقم على نظرة علمية واضحة في علم النفس وتكاملة ، قول ستانلي هايمن نفسه : "بعد أرسطو ، وجدنا

---

(١) انظر: أرسطو طاليس ، فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوى (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣م) ، ص ١٨ .

(٢) انظر: ديفيد ديتشس ، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ترجمة محمود يوسف نجم ، ومراجعة احسان عباس (بيروت : دار صادر ، ١٩٦٧م) ، ص ٥٢٣ .

(٣) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كولردج يتناول سيكولوجيته، ويسلطها على الشعر ، وما حال بين كولردج وتحقيق نقد نفسي* مكتمل ، إلا الذى منع أرسطو نفسه من ذلك : أى عدم كفاية ما لديهم من علم نفسي كما وكيفا "(١) .

ج - كيفية ظهور المنهج النفسي :

لقد كان ظهور المنهج النفسي في النقد بفضل مساهمة طرفين من العلماء هما :

أولا : علماء النفس ، وما جاءوا به من دراسات نفسية حديثة .

ثانيا : النقاد وباحثو الأدب ، الذين وجدوا أمامهم هذا الكم الهائل من المعلومات : التي تعينهم على "تفسير عملية الخلق الفني بعامة ، وتهيء لهم وسيلة للكشف عن الأثر الأدبي ، بالاشارة الى حياة صاحبه أو العكس ، أو تعينهم على جلاء المعنى الحقيقي في نص ما" (٢).

---

* يأتي مصطلح "النقد النفسي" عند ستانلي هايمن بمعنى مرادف للمنهج النفسي أى النقد المعتمد على علم النفس ، وهذا واضح من خلال القرائن الواردة فيما استشهدت به في هذه الصفحة .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

(٢) ديفيد ديتشس ؛ المرجع السابق ، ص ٥٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحتى لا نخلط بين مساهمة كل طرف من هذه الأطراف ، يحسن أن نقف عند مساهمة كل جماعة بشيء من التفصيل .

أولا : مساهمة علماء النفس في بناء المنهج :

لقد بات واضحا أن فرويد ومن تبعه من علماء النفس ، ما كان يخطر ببالهم ايجاد " منهج نفسي" للنقد الأدبي ، ولكن مساهمتهم جاءت بطريقة غير مباشرة ، وغير مخطط لها . لقد كان ميل فرويد الطبيعي الى الأدب ، مضافا الى رغبته في الدفاع عن علم النفس التحليلي - الذي اتهم بأنه أو هام لا معنى لها - من الاسباب القويّة التي جعلت فرويد يهتم بالكتّاب وانتاجهم (١) .

أضف الى ذلك أن الأدب - بالنسبة لفرويد ولعلماء النفس - كان يشكل مصدرا غنيّا يعودون اليه في توضيح كثير من آرائهم ، فقد استمدّ فرويد - على سبيل المثال لا الحصر - مصطلح" عقده أوديب" من المسرحية اليونانيّة الشهيرة لسوفوكليس .

من هنا يتضح لنا أن علماء النفس لم يطمحوا للوصول الى امكانات حكم أو تقييم نقدي ، "بقدر ما كان هدفهم تحليل أشخاص عصابيين".(٢)

ولعلّ من أهم علماء النفس الذين كان لآرائهم - في تحليل الأدب والنظر في الابداع الفني - شأن كبير ، بل وشكلت آراؤهم قاعدة قويّة لمدرسة

---

(١) انظر : محمود السمرة ، المرجع السابق ، ص ٨٥

(٢) كارلوني وفيللو ، تطور النقد الأدبي في العصر الحديث ، ترجمة جورج سعد يونس (بيروت ، د.ت) ، ص ١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحليل النفسيّ في الأدب والنقد ، فرويد Freud ، ويونج Jung .
فقد كان معظم ما كتبه النقاد الغربيّون والعرب - في المنهج النفسيّ للنقد - مدينا لمدرسة " فرويد " من جهة ، ولأتباع " يونج " - الذين شغلوا أنفسهم بالرمز والأسطورة * - من جهة أخرى . أضف الى هذا وذاك أن معظم علماء النفس ، غير " فرويد " و " يونج " ، كان أثرهم ضئيلا خارج الحقول التي يعملون بها (١) . وهذا يعني أنه لم يكن لهم تأثير كبير في علم النفس الأدبيّ .

لكل هذه الأسباب التي ذكرت ، ودفعا للتشتت ، وتحديدا للموضوع ، فسأقتفي في دراستي هذه آراء فرويد وتلامذته وآراء " يونج " وتلامذته ، دون أن أهمل آراء بعض علماء النفس الذين أجد لآرائهم ضرورة في دراستي هذه ، وخاصة فيما يتعلق بالجانب التطبيقي منها . والآن ظننظر في مساهمة كل من فرويد و يونج في بناء المنهج النفسيّ في النقد الأدبيّ .

أ - مساهمة فرويد :

ظل الاهتمام بهذه الأمور التي تربط بين عالم النفس وعالم الأدب متصلا ، الى أن نشر " فرويد " كتابه تفسير الأحلام (١٩٠٠م) الذى ضمّنه ملاحظاته عن الأحلام ونظرياته فيها . وبعد نشر هذا

---

* ترى مدرسة التحليل النفسيّ أن الاسطورة كالحلم ، تعبّر عن الميول الانفعاليّة اللاشعوريّة ، التي كبتها الطفل أثناء حياته - وخاصة أثناء طفولته المبكرة - من تجاربه وعلاقاته مع أفراد العائلة . وبذلك فان الاساطير ليست إلا نوعا من اشباع تلك الميول الانفعالية المكبوتة .
انظر : أحمد أبو زيد " التحليل النفسي للاساطير " مجلّة علم النفس ، عدد ٢ ١٩٤٦م ، ص ٢٤١ .

(١) انظر : ستانلي هايمن ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب "صار التحليل النفسيّ مدرسة سيكولوجية صريحة".(١) وبدأ النقـــاد الغربيون باستخدام "علم النفس" وما توصّلت إليه الدراسات النفسيّة مـــن نظريات وقواعد محدودة في فهم الأدب ونقده. وطبقا لمفاهيم فرويد، أصبح الأدب يحتوى على ثروة كبيرة من عالم "اللاشعور". وتحدّدت نقطة الانطـــلاق الجديدة في المنهج النفسيّ للنقد، بعد أن تعرّف "فرويد" على فكرة التوتـــر الدائم بين وجهيّ الحياة النفسية: بين "الوعي"، و"اللاوعي". وبهـــذا أحرز علم النفس اتجاها يستطيع أن يفهم ويستبصر الأمور على نحو لم يكـــن متيسرا في أصول الأعمال الأدبية ومبانيها".(٢)

وقد يعترض هنا معترض، فيرى أن فرويد لم يكن السّباق الى تقسيـــم النفس الى "شعور" و"لا شعور". وهذا اعتراض فيه صواب وخطأ يحســـن تمييزهما. فصحيح أن فرويد كان قد سُبق الى هذه المعرفة، حتى أنـــه اعترف أن الشعراء والفلاسفة قد سبقوه الى معرفة "اللاشعور". فقد تحـــدّث ديكارت مثلا، عن الصراع الدائر بين القسم الأدنى من النفس الذى دعـــاه "بالعاطفي"، والقسم الأعلى منها الذى دعاه (بالعاقل)(٣) غيـــر أنه تعامل مع "اللاشعور" على أنه حقيقة واقعة Fact، وجزء لا يتجزأ مـــن

---

(١) فاخر عاقل، مدارس علم النفس، ط٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م)، ص ١٧٨.

(٢) ستانلي هايمن، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٣) فاليرى لبيبين، مذهب التحليل النفسي وفلسفة الفرويدية الجديدة، ط١ (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨١م)، ص ٢٣.

٢٧٧٤٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النشاط البشرى(١) . لقد اهتم فرويد - بالدرجة الأولى - بالمضمون الملموس لهذا " اللاشعور" ، وجعل منه حقيقة أدّت - فيما بعد - دورا كبيرا في نظرته وتفسيره للشخصية المبدعة والمريضة على حد سواء . ويرى محمود السمرة أن فرويد قد أحال المفهوم الغامض المبهم الى علم أثبتة بالتحليل ، وجعل من الممكن الاستفادة منه في علاج الأمراض النفسيّة (٢) .

وعلى الرغم من أن مساهمة " فرويد " لم تقتصر على " تفسير الأحلام" ، بل لقد كتب العديد من الأبحاث ، وحلل الكثير من القصص والمسرحيات ، وألقى الكثير من المحاضرات - تطبيقا لمنهجه - الا أن بعض النقاد(٣) يرون أن " تفسير الأحلام" هو المؤلف الرئيس الذى تضمّن أفكارا ونظريات في الفن وعلم الجمال(٤) وقد ذهب " فرويد " نفسه الى مثل هذا الرأى ، عندما قال بعد مرور واحد وثلاثين عاما على نشر كتابه " تفسير الأحلام" :

> "إنه حتى فيما أرى اليوم يحوى أثمن الكشوف التي شاء حسن الطالع أن تكون من نصيبي . فمثل هذا الحدس ، لا يأتي العمر مرتين" (٥)

---

(١) فاليرى ليبين ، المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) انظر : محمود السمرة ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٣) يقول سلفادور دالي : إن كتاب فرويد قدم نفسه كواحد من الاكتشافات الرئيسية لحياتي الخاصة .

(٤) انظر : قاسم حسين صالح ، الابداع في الفنّ ، (دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١) ، ص ٩٥ .

(٥) سيجموند فرويد ، تفسير الأحلام ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أهم ما يذكر من مؤلفات " فرويد " ، التي تهم النقد الأدبي المتصل بالتحليل النفسي ، ثلاث دراسات - سنقف عند اثنتين منها في (الفصل الأول) من هذه الدراسة - هي :

أولا : ليوناردو دافنشي : دراسة نفسيّة جنسيّة لذكريات طفوليّة .

ثانيا : مقالة عن " دوستويفسكي وجريمة قتل الأب ".

ثالثا : دراسة لقصة المانية عنوانها "غراديفا" Gradiva ومؤلفها فلهلم ينسن (١) W. Jensen .

وبهذا أقام " فرويد " منهجين من التحليل تركا بصمات واضحة على معظم أتباعه . وهذان المنهجان هما :

الأول : الباثوغرافيا Pathobiography ، أو دراسة المريض عصبيا ، أو الشخص المريض نفسيّا ، مع اتخاذ آثاره الفنيّة دليلا هاديا في هذه الدراسة .

والثاني: نقد أدبيّ متّصل بالتحليل النفسيّ ، أو دراسة الأثر الأدبي ، مع استعمال الآليات * التي تستعمل في التحليل النفسيّ مفاتيح لهذه الدراسة (٢).

---

(١) أديب وكاتب وشاعر ألماني (١٨٣٧ - ١٩١١م) ، وهو غير فلهلم ينسن الكاتب الدنماركي الحائز على جائزة نوبل للآداب (١٩٤٤م) .
انظر: سيجموند فرويد ، الهذيان والاحلام في الفنّ ، ط١ ، ترجمة جورج طرابيشي (بيروت: دار الطليعة ، ١٩٧٨م) ، ص ٩ .

(٢) انظر: ستانلي هايمن ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ .

(*) يقصد بالآليات هنا مفاهيم علم النفس ومسلّماته التي اعتمدها ، مثل " الشعور" واللاشعور" ، و "الكبت" و"عقدة أوديب " ، وغيرها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - مساهمة يونج Jung في المنهج النفسيّ :

أوضح "يونج"[١] رأيه في طبيعة الابداع الفنيّ في مقالة له بعنوان "علم النفس والأدب" ،تناول فيها ابداع الشاعر الألماني "جوتة" Geothe ،في روايته المشهورة "فاوست" ،وتحدّث يونج في مقاله السابق عن الابداع الفنيّ لكل من الموسيقي والشاعر الألماني فاغنر Wagner (١٨١٣-١٨٨٣م) ، والروائي الانجليزى رايدر هجارد هاجارد Haggard (١٨٥٦ - ١٩٢٥م) ، والروائي الامريكي هرمان ملفل Herman Melville (١٨١٩ - ١٨٩١م) ، والشاعر الايطالي دانتي Dante (١٢٦٥ - ١٣٢١م) ،وغيرهم.

وقد توصل يونج -بعد دراسته الاعمال الفنيه لهؤلاء المبدعين - الى أن الأعمال العظيمة تنبع مما سماه "باللاشعور الجمعي" - Collective un Conscious . وعلى هذا فالفنان في نظر "يونج" ليس إلا أداة في يد قوة لا شعورية هي "اللاشعور الجمعي" (٢).

---

(١) C.G. Jung, Modern Man In Search of A soul: (London, BRADFORD), pp: 175-198.

(٢) ينطوى مفهوم اللاشعور الجمعي على الآثار الخفيّة لذاكرة الماضي الانساني : التاريخ المنصرى والقومي ،وكذلك الوجود الحيواني ما قبل الانساني ، وهو خبرة انسانية عامة لدى جميع العروق والشعوب انظر: فالبرى ليبين ،المرجع السابق ،ص ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك وجدنا "يونج" عندما يتحدث عن العمل الفنيّ، يعتبر أن مصير العمل الفنيّ هو الذى يرسم صورة الفنان. يقول يونج موضحا: "ليس "جوتة" هو الذى خلق "فاوست"، بل على العكس، فان "فاوست" هو الذى خلق جوتة". (١) وقد ركز يونج (٢) على الأعمال الأدبية والكتابات التي تبدو خالية من العرض السيكولوجي، والتي تترك المجال للتحليل والتفسير. ويرى أن أفضل الأمثلة على هذا النوع من الكتابة، روايات بنوا Benoit، والقصة الانجليزية على نحو ما يكتبها رايدرهاجارد، ورواية موبي ديك Moby Dick لميلفل Melville.

ج - مساهمة الفرد ادلر A.Adler:

من المناسب أن نشير الى أحد طلاب فرويد المقربين وهو "ألفرد إدلر"، الذى انشق عن "فرويد" وأسس مدرسة "علم النفس الفردى"، وذلك بسبب ما حمّل "فرويد" رموز الأحلام من تفسيرات مبالغ فيها (٣). ولإدلر وجهة نظر في الابداع الفنيّ يحسن أن نثبتها. يرجع إدلر النبوغ الى "الشعور بالنقص" الذاتي للكائن البشرى. ويعتقد إدلر أن الانسان يولد - بطبيعته - كائنا ضعيفا، عاجزا، ذا نقائص وعيوب فسيولوجية. ويرى أن النقص الجسدىّ - بالذات - هو الذى يحرّك القوى النفسيّة لتعويض النقص البشرى، وهذه القوى هي التي تؤدى الى كمال تطور الفرد، وظهور نشاطه الابداعي (٤).

---

(١) C.G. Jung, Ibid:p. 197.

(٢) انظر: مقالة يونج "علم النفس والأدب،" مجلة علم النفس، ١، ٢ (١٩٤٥/ ١٩٤٧)، ترجمة سمير كرم، ص ص ٢٢ - ٣٦.

(٣) حلمي المليجي، علم النفس المعاصر، ط٥، (دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٣)، ص ٢٧٢.

(٤) فاليري ليبين، المصدر السابق، ص ١١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واضح إذن أن الاختلافات بين علماء النفس لا تتعلق بالجوهر بقدر ما تتعلق بالجزئيّات والتفاصيل ، فالعامل المشترك الذى يجمع بينهم جميعا هو الاتفاق على الأهميّة القصوى ، والدور الحاسم للرغبات اللاشعوريّة في النشاط الحيوىّ الانسانيّ ، وأهمية الرغبات اللاشعورية في عمليات الابداع الفنيّ . وليس يهم بعد ذلك أكان مصدر الابداع الفنيّ هو اللاشعور الفردى الذى نادى به فرويد ، أو كان " اللاشعور الجمعيّ " الذى قال به يونج ، أو كان مصدر الابداع هو " الشعور بالنقص " كما قال إدلر . إنّما المهم من هذا وذاك اتفاقهم على أهمية " اللاشعور " في عمليّات الابداع الفنيّ " .

هذه الآراء كانت النواة الأولى لمنهج التحليل النفسيّ في الأدب والنقد ، وشكّلت العصب الرئيس لذلك المنهج . ولكن كان لا بد لهذا العصب من لحم يكسوه ، ودم يجرى فيه ، حتى يكتمل ، فمن أين جاء له ذلك ؟

وهنا نأتي الى الخطوة الثانية التي أدت الى ظهور المنهج النفسيّ في النقد الأدبيّ : أعني مساهمة النقّاد وباحثي الأدب . فقد قام بعض النقاد والأدباء الغربيين باقتفاء أثر البداية الطيّبة عند فرويد في دراسته لـ " ليوناردو دافنشي " وآثار يونج في دراسته لمسرحية " فاوست " لجوته ، وحاول هؤلاء النقاد تطبيق المنهج النفسيّ في النقد ، وذلك بأن قاموا بتحليل المؤلفين والأدباء ، وتوضيح انتاجهم في ضوء نظريات التحليل النفسي . مما أدى الى انتعاش فن السيرة الأدبية ، التي اتجهت باتجاه العمق والتحليل (١) ! وبهذا استطاع التحليل النفسيّ أن يمد النقاد والأدباء بلغة أدق ، في معالجة عملية الخلق الفني "(٢) .

---

(١) حسام الخطيب ، محاضرات في تطور الادب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية (دمشق : مطبعة طربين) ١٩٧٤ / ١٩٧٥ ، ص ٤٣٥ .

(٢) Scott, Willbur, Five Approachesto Literary criticism (U.S.A, 1962) p.71.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بدا أن تأثير التحليل النفسيّ على الأدب والنقد المعاصر في أوروبا كبير للغاية ، فآثرنا أن نتحدّث عن المنهج النفسيّ في كل من انجلترا ، وفرنسا ، وامريكيا ، مراعين الترتيب الزمنيّ في دخول ذلك المنهج .

المنهج النفسيّ في انجلترا :

كان من أوائل الدراسات التي اعتمدت منهج التحليل النفسيّ الفرويدى ، دراسة ارنست جونز (*) E. Jones ، التي أصدرها عام (١٩١٠م) . وفي هذة الدراسة تحدّث جونز عن مركّب أوديب " في " هملت ، وردّ عجز " هملت " عن الأخذ بثأر أبيه الى شعوره الباطني ، المتعلق بحب آثم لأمّه (١) وقد استقبل بعض الادباء والنقاد الانجليز وجهة نظر التحليل النفسي بحماس زائد ، وكبير للغاية ، حتى قال ستانلي هايمن :

"إن النقد النفسيّ للأدب ليعدّ في بلادنا نحن تطورا أكثر من أى منهج نقدى آخر" (٢)

وفي موضع آخر يقول :

"إنّ الأدباء المحترفين الذين اعتمدوا فرويد والتحليل النفسيّ ، ليكاد يقصر عنهم الحصر" (٣)

---

(١) وليم فان أوكونور ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(*) Jones, Ernest, Hamlet and odipus, Garden City, N.Y. 1954.

(٢) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك قدّم " أيفور أرمسترونج ريتشاردز " الى ذخيرة نظريات النقد المعاصر إضافة بالغة الأهمية ، حين أصدر كتابه " أصول النقد الأدبي " عام (١٩٢٤) ، فوضع بذلك أسس نظرية جديدة قوامها إرساء النقد الأدبيّ والفنيّ على قواعد سيكولوجية (١) .

ولم تقتصر مساهمة النقاد الانجليز في المنهج النفسيّ على تحليل النصوص ، ودراسة الأدب وحسب ، بل لقد أخذ الامر صورا متعددة : فوجدنا من يكتب حاثا النقاد والأدباء على التزوّد بالمعارف النفسيّة . فهذا (ت.س. اليوت) يقول في محاضرة ألقاها بعنوان " التجربة في النقد " :

" هنالك فروع أخرى من المعرفة نفترض العلم بها بالضرورة في من نستخدمه ناقدا أدبيا ، ومن ألزم هذه بالطبع علم النفس ، وعلم النفس التحليلي* على الخصوص " (٢)

وممن يذكر في هذا المجال أيضا الآنسة " مودبودكين " التي نشرت كتابها " النماذج العليا في الشعر " Archetypal patterns in poetry وعنوانه الفرعي " دراسات نفسيّة في الخيال " (١٩٣٤م) . ونشر الآنسة مودبودكين هذا الكتاب " حققت ما لعله يكون خير استغلال للتحليل النفسيّ في مجال النقد الأدبي حتي اليوم " (٣)

---

(١) فايز اسكندر ، النقد النفسي عند أ . أ . ريتشاردز (مكتبة الأنجلو المصرية د.ت) ، من مقدمة الكتاب .

(٢) محمد خلف الله أحمد ، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، ط٢ ، (القاهرة ، ١٩٧٠م) ص ٢٩ .

(٣) ستانلي هايمن ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

(*) علم النفس التحليلي : Analitical psychology طريقة التحليل الفنيّ التي استخدمها يونج Jung والسيكولوجيا المنهجيّة المرتبطة بهذه الطريقة ، انظر : فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص ١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدو حماس " مود بودكين " للمنهج النفسيّ كبيرا للغاية ، فقد ردّت على ما يبديه بعض المعترضين على التحليل النفسيّ قائلة :

"إننا لا نستطيع أن نلغي - ويجب ألا نلغي - الوعي السيكولوجيي الذى جاد علينا به عصرنا" (١)

ومن النقاد الانجليز الذين استقبلوا منهج التحليل النفسيّ واعجبوا به، الناقد هربرت ريد . فكتب عن أهمية التحليل النفسيّ ، وأهمية العلوم النفسيّة للأدب والنقد ، وقام بدراسات عملية على (ورد زورث) ، و (شلي) ، والأختين (شارلوت وإميلي برنتة) (٢)

المنهج النفسيّ في فرنسا :

لم يمض كبير وقت حتى بدأت أفكار التحليل النفسيّ للأدب بالتسرب الى فرنسا . ففي سنة (١٩٢٠م) ، بدأت هذه الأفكار تدخل في مؤلفات الكتاب والنقاد الفرنسيين ، ولونت أغلب الاتجاهات ، وبدأت الأنظمة الفكرية تتعمق معرفتها "باللاشعور" ، وهذا واضح لدى "بروست" و "كوكتو" و "السرياليين" (٣) كذلك نشأت بعض التقنيات الجديدة : كالمونولوج الباطني ، والنزعة الواقعية للأحلام . حتى أن الشعر في هذه الفترة صار يستوحي الترابطات الحرّة ، واللاشعور ، وتصريف القوى المكبوتة من الشعور ،

---

(١) ستانلي هايمن ، المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٢) انظر : محمد خلف الله أحمد ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٣) نهاد التكرلي ، اتجاهات النقد الفرنسي المعاصر (وزارة الثقافة والفنون العراقية ، ١٩٧٩م) ، ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يظهر ذلك لدى "آيلور" ، و "بريتون" ، و "أرغون" ، و "تزارا" (١). وترى سامية أحمد أسعد(٢) أنه كان لترجمة كتاب "يونج" "السيكولوجيّة التحليليّة وعلاقتها بالعمل الشاعري" (١٩٣١م) ، الى الفرنسيّة أثر كبير في تنبّه النقاد الفرنسيين الى الاستفادة من نتائج التحليل النفسي . وبعد ترجمة هذا الكتاب مباشرة أصدر د . لافورج D.Laforgue كتابه "فشل بودلير" (١٩٣١م) . وفي (١٩٣٣) أصدرت ماري بونابارت Marie Bonaparte كتابها المسمى "ادجارپو" إلا أن هذه الكتابات بقيت تتسّم بطابع الدراسة الطبيّة الاكلينكيّة ، إذ فسّر أصحاب هذه المؤلفات الأعمال الأدبية على أنها مجرد تعبير عن "لاشعور" مرضي(٣) غير أن من أكثر المحاولات الجدّية الفرنسيّة في مجال النقد المعتمد على التحليل النفسي ، محاولة الناقد الفرنسي شارل مورون الذي يعتبر مؤسس مدرسة النقد النفسيّ في فرنسا(٤) ، والمسماة (Psycho Critique) . وقد كان شارل مورون يهتم - في تحليله - بالأثر بصورة جوهرية ، ويحاول أن "يكتشف في النصوص وقائع وعلاقات بقيت خفية ، ولم تلاحظ بصورة كافية ، مصدرها الشخصية اللاشعورية للكاتب"(٥)

---

(١) نهاد التكرلي ، المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

(٢) سامية أحمد أسعد ، في الأدب الفرنسي المعاصر ، ص ص ٨٦ - ٨٧

(٣) انظر: سامية أحمد اسعد ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٤) نهاد التكرلي ، اتجاهات النقد الفرنسي المعاصر (وزارة الثقافة والفنون العراقية ، ١٩٧٩م) ، ص ص ٣٧ .

(٥) نهاد التكرلي ، المرجع نفسه ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المحاولات المتقدمة التي فاتني الاشارة اليها ، محاولة الناقد الفرنسي شارل بودوان Ch. Beaudoin . فقد نشر كتابه "التحليل النفسي للفن" (١٩٢٩م) ، محاولا أن يطبّق منهج "فرويد" على "المعطى الفنـي" فذهب الى أن الابداع الفني - مثله في ذلك كمثل الأخطاء اللاشعوريّة والأحلام والجنون - إنّما هو انفجار لا شعوري يحدث في الحياة الشعوريّة ، لتلك الرغبات التي لم ينجح الرقيب في كبتها (١).

المنهج النفسيّ في أمريكيا :

بدأت آراء علماء التحليل النفسي ودراساتهم تأخذ طريقها الى النقد الامريكي ، فكان أول تطبيق مصدق لنظرية "فرويد" على الأدب كتاب "فرويد ريك بروسكوت" المسمّى "المقلية الشعرية" (١٩٢٢م) . يقول وليم فان أوكونور في هذا الكتاب :

"وسيظلّ بين أفضل الدراسات من هذا النوع"(٢)

وهو يقصد هنا الدراسات التي اعتمدت المنهج النفسيّ في التحليل . ويعد هذا الكتاب بدأ تطبيق المنهج النفسيّ على نطاق واسع ، فقام الناقد الامريكي "ليونيل تريلنغ" Lionel Trilling بكتابة مقال بعنوان "فرويد والأدب" ، نشره في مجموعته "الخيال الحر" Leberal Imagination ناقش فيه آراء "فرويد" في الفن والأدب . وأظهر "تريلنغ" في هذا المقال

---

(١) زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن ، ص ١٧٧ .
(٢) وليم فان أوكونور ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسهام المنهج الفرويدى في دراسة الأدب ونقده ، ستعيننا بالأمثلة والدراسات التي قدّمها بعض أتباع " فرويد " : مثل د . ارنست جونز (١).

وفي سنة (١٩٢٦م) ، قدّم الناقد الأمريكي المعروف " ادجار ألان بو" دراسة في العبقرية "لجوزيف وكردتش" ، اعتمد في هذه الدراسة منهج التحليل النفسي . كذلك فقد تأثر بعض كتاب السير بمنهج التحليل النفسي ، فوجدنا الكاتبة الأمريكية "كاترين انطوني" Ketherine Anthony تستفيد في كتابة سيرة " مرجيت فلليلز Margaret Fuller من نتائج التحليل النفسي .

المنهج النفسيّ في مصر :

أ - التأريخ لميلاد الفكرة :

ليس بوسعنا أن نحدّد - على وجه الدقة - التاريخ الذى دخل فيه " فرويد " ومنهجه النفسيّ" الى مصر . ذلك أن أية حركة علمية أو أى اتجاه فكرى لا يمكن أن يأتي فجأة ، بل لا بد من ارهاصات أولى تبشر بمقدم تلك الحركة العلمية ، أو بمقدم ذلك الاتجاه أو المنهج الفكرى .

وفي دخول المنهج النفسيّ الى مصر نجد أمامنا آراء مختلفة ووجهات نظر متضاربة . فملكى حين يجعل الناقد محمد خلف الله (٣)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) وليم فان اوكونور ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٣) محمد خلف الله أحمد ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البدايات الأولى لهذا المنهج في الرسالة التي تقدم بها طه حسين (١٩١٤م) ،لنيل درجة الدكتوراة في الآداب من الجامعة المصرية ،والتي كانت عن " أبي العلاء المعري " ، نجد من(١) يرى أن نظريات علم النص الحديث ومذاهبه بدأت تتلمس طريقها الى حركة النقد الأدبي في مصر منذ نشر عباس محمود العقاد كتابه عن " ابن الرومي " ، (١٩٣٧م) .

ولكننا نرى أن البداية الفعلية لدخول المنهج النفسيّ- بالمعنى الذى شرحناه لهذه الكلمة - كان بعد افتتاح الجامعة المصريّة (١٩٣٨م) . وهذا لا يعني أننا ننكر الارهاصات الأولى ، والبدايات أو المحاولات التي سبقت هذا التاريخ ، غير أننا سنقف عند ذلك كله في (الفصل الثاني) من هذه الدراسة والذى خصصناه لدراسة المنهج النفسي في مصر* .

---

(١) حسين مروّة ، دراسات نقديةٌ في ضوء المنهج الواقعي (بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٧٢م) ،ص ٢٣٣ .

(*) لهذا السبب أوجزت في الحديث عن دخول المنهج النفسي الى مصر في هذا التمهيد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - كيفية دخول المنهج النفسيّ الى مصر:

لعل من الواضح أن الحاجة الى الروح العلمي ، والى تطبيقه في نواحي الحياة المختلفة ، كانت أول ما شعرت به مصر عندما بدأت نهضتها الحاضرة(١) فالى أوائل القرن العشرين كان النقد في مصر يمثل مذهبين أو مدرستين(٢).

الأولى : المدرسة القديمة ، التي تعنى بالنقد اللغوي ، وتحفل بالصيغ والألفاظ والنواحي البلاغية.

الثانية : المدرسة الحديثة ، التي انصب نقدها على الناحية الموضوعية ، واتجهت اتجاها غريبا في نقدها دون أن تهتم العناية بالنقد الفقهي .

وقد تضافرت عدة عوامل على توجيه التفكير في مصر ، وتوجيه النقد الأدبي - بشكل خاص - وجهة أخرى . وكان في مقدمة تلك العوامل ، الحملة الفرنسية على مصر ، في أخريات القرن الثامن عشر ، وما نتج عنها من اصطناع مناهج العلم الحديث ، وارسال البعثات العلمية ، التي أتاحت الظروف لطلاب مصر أن يدرسوا في الجامعات الغربية(٣) . وكذلك فقد ساهم وجود المستشرقين - الى حد ما - في ايجاد منهج علمي في البحث ودراسة الأدب(٤).

(١) انظر: محمد خلف الله أحمد ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٢) عز الدين الأمين ، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ، ط٢ ، (مصر: دار المعارف ، ١٩٧٠م) ، ص ١٢٢ .

(٣) انظر: محمد خلف الله أحمد ، المصدر نفسه ، المكان نفسه .

(٤) انظر: عز الدين الأمين ، المرجع نفسه ، ص ١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان طه حسين أول ثمرة من ثمرات هذا الاتجاه العلمي ،اذ دعا الى اصطناع المنهج العلمي الحديث في دراسة الأدب ونقده ،وكل ما يتصل به من قضايا . وأكّد طه حسين أننا بالاستعانة بهذا المنهج العلميّ في الدراسة ،نستطيع أن نحسن استنباط التاريخ الأدبي من هذه الآثار الأدبية (١).

أضف الى كل ما سبق أن روافد الثقافة الغربية ساعدت على تعزيز هذا الاتجاه ،ويقول (هويتهد) في كتابه " العلم والعالم الحديث " :

> " من الصفات التي تميز العلم الحديث من بين الحركات الأوروبية الأخرى ،ما فيه من صفة العموم (Universality) ،فانه وان كان قد ولد في أوروبا ينتمي الى العالم بأسره " (٢)

ويبدو أن مصر اقتنعت أن الشيء الذى يمكن أن تأخذه عن الغرب - دون أن يقضي على تراثها الخاص - هو علمه ومنزعه العلمي(٣) وأيقنت مصر أن حاجة المدارس كبيرة وماسّة الى الاتصال الوثيق بالدراسات الانسانية ،التي تحتك احتكاكا كبيرا بالأدب ،والتي تقوم بينها وبينه وشائج قربى : أقصد دراسات النفس والسلوك الانساني في أوسع معانيه (٤)!

---

(١) انظر : طه حسين ،تجديد ذكرى أبي العلاء ،ط٦ ، (دار المعارف ، ١٩٦٣م) ،ص ٩٠

(٢) A.N. Whitehead,"Science and the Modern World" , (Cambrige, 1932), chp.I.p.3.

(٣) انظر: محمد خلف الله أحمد ،المصدر السابق ،ص ٩٠

(٤) انظر: أمين الخولي ، مناهج تجديد : في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، (القاهرة : دار المعرفة ، ١٩٦١م) ،ص ٣٢٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الدفعة القوية لتعزيز هذا الاتجاه من الدراسة - قد جاءت من الجامعة المصرية ، بعد انشاء كلية الآداب (١٩٣٨م) وهيأت الجامعة المصرية لطلبة الدراسات العليا دراسة جديدة تدور حول علاقة علم النفس بالأدب ، وفتح المجال لكي يقوم النقاد المصريون بتطبيق المنهج العلمي في البحث.

ومنذ (١٩٣٨م) ، بدأ الأستاذان " أحمد أمين " و " محمد خلف الله أحمد " ، يتوليان تدريس هذا الموضوع ، وتابع " امين الخولي " عمله في قسم اللغة العربية بالجامعة المصرية ، وشارك مشاركة فعّالة في تسيير الحياة الأدبية ، والدراسة الأدبية نحو أهداف الجامعة ، التي زادت وضوحا مع الأيام ، وقوى التنبه اليها على مر السنين : أي وصل الدراسة الأدبية بعلم النفس ، واقرار دراسة خاصة لعلم النفس الأدبي في الجامعة (١).

وفي عام (١٩٣٩م) ، نشر أمين الخولي ، في مجلة كلية الآداب بحثا بعنوان " البلاغة وعلم النفس " (٢) أكد فيه الاتصال الوثيق بين البلاغة وعلم النفس . وظل الخولي يواصل الكتابة حول هذا الموضوع في مجلة كلية الآداب ، ومجلة علم النفس . فكتب في مجلة علم النفس مقالا بعنوان " علم النفس الأدبي (٣) "

---

(١) انظر : أمين الخولي ، مناهج تجديد : في النحو والبلاغه والتفسير والأدب ، (القاهرة : دار المعرفه ، ١٩٦١م) ، ص ٣٢٣ .

(٢) أمين الخولي ، " البلاغة وعلم النفس " ، مجله كليه الآداب ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ، ١٩٣٩م ، ص ص ٣٦ - ٤٨ .

(٣) أمين الخولي ، " علم النفس والأدب " ، مجلة علم النفس ، ١ ، ٢ (١٩٤٥/ ١٩٤٧م) ، ص ص ٣٦ - ٤٨ ، وقد جمعت هذه المقالات في كتابه " مناهج تجديد " المذكور سابقا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طالب فيه بوجوب الفهم النفسيّ للأديب ، ورأى أن بين الأدب والأديب ارتباطا واتصالا لا بد من بيانه وايضاحه وتقديم المثل منه ، تأصيلا لكفرة تكميل المنهج الأدبيّ واتمامه .

وهكذا بدأ النقاد والباحثون المصريون المعاصرون - على ضوء ثقافاتهم الأدبية والعلمية ، المصرية والغربية - يجدون لدى فرويد ويونج وغيرهم من علماء النفس مجالا لاهتماماتهم النقديّة . وكان تأثرهم بها متفاوتا ، كل حسب ثقافته وشخصيته . ولم يمض وقت كبير حتى وجدنا عددا من النقاد المصريين تلمع أسماؤهم في هذا المجال ، كأمين الخولي ، ومحمد خلف الله أحمد ، ومحمد النويهي ، وعبّاس محمود العقّاد ، وعز الدين اسماعيل .

وسواء أنجح هؤلاء النقاد ووفقوا - في أن يدخلوا الى بحوثهم النقدية ، وتطبيقاتهم المختلفة ، منهج التحليل النفسي - أم لم ينجحوا في ذلك ، فهذا ليس مدار بحثنا الآن . ولكن حسبنا الآن أن نقول : ان النقد القائم على منهج التحليل النفسيّ قد بدأ - منذ أواخر الثلاثينات - يغزو الأوساط الأدبية والنقدية في مصر . يقول أحمد كمال زكي في النقّاد المصريين :

"لقد أبوا الا أن يتعرفوا على المدارس النفسيّة ، ويمحصوا أساليب التداعي الحر * ، ويفسروا غموض اللغة ، ويعالجوا

(*) أي توارد الأفكار أو الخواطر أو الكلمات على الذهن بصورة حرّة ، وهذا خلاف ترابط الأفكار المضبوط حيث يفرضه ضابط موجة .
انظر : فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص ٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوعي ، ويتعمقوا الأخيلة والرموز ، التي يقال
انّها تورث في اللاوعي الجمّاعي "(١)

على هذا النحو بدأ دخول المنهج النفسيّ الى مصر ، وهؤلاء هم النقاد المصريون الذين طبقوا ذلك المنهج على الأدب . ومهمتنا في هذا البحث - أن ندرس هؤلاء النقّاد ، وأن نرى ما حققوه من نتائج من جرّاء تطبيقهم لهذا المنهج .

---

(١) أحمد كمال زكي ، النقد الأدبي الحديث : أصوله واتجاهاته (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١م) ، ص ٢٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علـــم النفـــس والأدب

الأدب والنفـــس :

ليس عجيبا أن تقوم بين الأدب والنفس علاقة أو صلة ، ما دامـــت النفس البشريّة مصدر الادب ، والمنبع الذى تصدر عنه جميع الفنون ، ومـــا دامت النزعة نحو الخلق الفنيّ مفروسة في أعماق النفس البشريّة . ولكـــن العجيب أن يقال انّـه لا وجود لهذه الصلة أو تلك العلاقة .

وكما ذكرت سابقا ، فقد تنبّه النقّاد والبلاغيون العرب القدمـــاء الى وجود تلك العلاقة بين الادب والنفس وتحدّثوا عنها مستعينين بمـــا لديهم من معارف ووسائل حسب ثقافاتهم ، ونظرة كل منهم للأمور . وقـــد اتخذوا التأثير النفسيّ مقياسا لنقدهم ، وتحدّثوا عن النص الأدبيّ ، وقاسوه بمقدار ما يحدثه في النفس من أثر . فهذا ابن ابي عتيق يرى أن لشعـــر ابن أبي ربيعة نوطة في القلب ، وعلوقا بالنفس ، ودركا للحّاجة ليســـت لشعر . وما عصى الله عزّ وجلّ بشعر أكثر مما عصى بشعر ابن أبي ربيعة.(١)

وهذا ابن رشيق يقول :"انمّا الشعر ما أطرب وهزّ النفوس، وحرك الطباع".(٢)

---

(١) أبو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، مراجعة عبد الله العلايلي وأحمد أبـــو سعد ، المجلدّ الأول (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٥٥م) ، ص ١١٣ .

(٢) ابن رشيق القيرواني ، العمده في محاسن الشعر ، وأدابه ونقـــده تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، ج ١ ، (المكتبة التجاريـــة الكبرى ، ١٩٣٤م) ، ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو هنا كأنّه يحدّد صفات الشعر الجيّد في قدرته على التأثير في النفس البشرية ، وتحريك الطباع . واذا لم تتوفر هذه الصفة في الشعر ، فكأنه لا يعدّ شعرا عند ابن رشيق . ويقول ابن رشيق أيضا : سمعت بعض الحذّاق يقول : "ليس للجودة في الشعر صفة ، انمّا هو شيء يقع في النفس عند المميّز"(١) وكذلك وجدنا عبد القاهر الجرجانيّ يتخذ من المقياس النفسيّ أساسا للنقد الأدبي ، فيطالب بالرجوع الى النفس للتعرّف على مدى تأثير النص الأدبي في القلب قبل الحكم عليه ، بل لقد بنى كتابه "أسرار البلاغة" على أساس من التأثير النفسيّ ، اذ ربط في كتابه بين النقد والتأثير النفسيّ للنقد الأدبي(٢)

وأنا انمّا أقول على أساس نفسيّ ، ولا أقول على أساس نظرية نفسيّة ، ذلك أنّ الصلة الحقيقية بين الأدب وعلم النفس تمّت بشكل علميّ دقيق ، بعد نهضة الدراسات النفسيّة والجماليّة وتطورها ، في النصف الثاني من القرن العشرين : أي بعد دراسات "فلرويد" و "يونج" وغيرهم من علماء النفس ، وبعد أن اتجّه الدارسون والنقّاد الى تلك الدراسات ، يغرفون من معينها ، بقدر ما يكشف لهم الاضواء ، ويفتح الآفاق أمام أعينهم للمضي في تفهّم الأدب .

ولكن ، وما دمنا نقرّ بوجود هذه الصلة ، وذاك الاحتكاك بين الادب والنفس ، ينبغي لنا أنّ نرى: كيف يرتبط الادب بالنفس ؟ أيّهما يستمدّ من الآخر ؟ ما طبيعة هذه العلاقة ؟

(١) ابن رشيق القيرواني ، المرجع السابق ، المكان نفسه .

(٢) انظر : عبد القاهر الجرجاني ، اسرار البلاغة ، ط٢ ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي (مكتبة القاهرة ، ١٩٧٦م) ، ص ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي يبدو للوهلة الاولى ان العلاقة بين الادب والنفس علاقة متبادلة قبل التأثير والتأثر . فالنفس تصنع الادب ، فهو يتأثر بهذه النفس ، وبما يعتلج فيها من حزن أو فرح أو غير ذلك . والادب يصنع النفس الانسانية ويهذّبها ويسمو بها " انّ النفس التي تتلقى الحياة لتصنع الادب ، هي النفس التي تتلقّى الادب لتصنع الحياة ، انها دائرة لا يفترق طرفاها الا لكي يلتقيا "(١) .

الادب وعلم النفس :

رأينا كيف يتصل الادب بالنفس ، والآن يجب أن نرى كيف يرتبط الادب بعلم النفس . وهنا نجد لزاما علينا أن نلمّ بطبيعة كلّ من الادب وعلم النفس . وببساطة فانّ علم النفس يدرس النفس البشرية ، أو بصورة أكثر دقة يدرس المعطيّات النفسيّة للانسان ، وينشد المعرفة والاحاطة بها . وأما الادب فهو فنّ يعبّر عن النفس البشريّة ، أو عن ضروب عديدة من النشاط النفسيّ . ولهذا فان بمقدورنا ان نستغل هذا العلم في دراسة الفن ، لان النفس هي منبع جميع الفنون .

وفي هذه الحالة فان على علم النفس أن يفسّر لنا كيف تمّ خلق العمل الفنيّ أولا ، وأن يكشف لنا عن العوامل التي تجعل من الانسان فنانا خالقا ثانيا (٢) ! ولكن الى أي مدى يمكن استغلال علم النفس في دراسة الادب ؟ وهنا ينبغي أن نقف عند آراء بعض المفكرين والنقاد الغربيين والعرب .

---

(١) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسيّ للادب (بيروت : دار العودة ، ١٩٦٢م) ص ١٣ .

(٢) محمود السمرة ، في النقد الادبي ، ط١ (الدار المتّحدة للنشر ، ١٩٧٤م) ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢راء بعض المفكرين والنقّاد الغربيّين :

١ - يرى يونج(١) انّه قد بات واضحا أنّ علم النفس - من حيث كونه دراسة للعمليات النفسيّة - يستطيع أن يدرس الأدب ،لأنّ النفس الانسانيّة هي الرحم الذى تولد فيه شتّى مبدعات العلم والفنّ . ولهذا فهو يتوقع من البحث السيكولوجي أن يفسّر طريقة تكوّن العمل الفنيّ ، وأن يكشف عن العوامل التي تجعل من شخص ما فنّانا خالقا مبدعا . وعلى الرغم من أنّه يرى أنّ بالامكان - بواسطة علم النفس - تفسير أى استجابة لمنبّه ما تفسيرا سببيّا ،الا أنّه يؤكّد أن العمل الابداعيّ يستعصي على الفهم الانساني الى الابد . فالابداع لا يمكن أن يوصف الا في مظاهره ،ويمكن أن يحسّ ولكن بغموض ،وسوف يظلّ على علم النفس وعلى الفنّ دائما ان يستعين أحدهما بالآخر .

واضح أن يونج يدرك تماما أن افادة علم النفس من الادب افادة محدودة ، بقدر افادة الادب من علم النفس . فكل منهما يستعين بالآخر . ولهذا رأينا يونج يؤكد على قضيّة مهمة وهي : مع أنّه قد يكون بوسعنا أن نستخلص من العمل الفني بعض النتائج التي نستدل

---

(١) اعتمدنا في عرض اراء يونج هذا الكتاب :
C.G.Jung,Modern Man In Search of A Soul, London, BRAD FORD, pp:175- 198.

وأنظر : مقال كارل غوستاف يونج "علم النفس وفن الشعر" ، في كتاب ويلهلم وايش " الانسان والحضارة والتحليل النفسيّ (دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٥)،ص ص ٢١ - ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بها على شخصية الفنان ، كما انه قد يكون بوسعنا أن نستند الى شخصية الفنان نفسه من اجل استخلاص بعض النتائج التي قد تعيننا على فهم عمله الفني ، الا ان كل استدلال نتوصل اليه عن هذا الطريق لا يمكن ان يتخذ صبغة منطقية وحاسمة - وانما يبقى في حدود التخمين والترجيح . ويضرب يونج مثلا على ذلك بقوله :

" ان معرفتنا بالعلاقة بين جوته وامه قد يلقي بعض الاضواء على عبارة فاوست المشهورة الامهات ! الامهات ! يا لها من كلمة ترن في الآذان رنينا غريبا . ولكن هذه المعرفة لن تمكننا من فهم كيف تسبب تعلق جوته بأمه في انتاج دراما فاوست نفسها ، مهما احسسنا من ارتباط بين جوته وبطل دراماته ." (١) وهذا دليل واضح على ان علم النفس يمكن ان يلقي بعض الاضواء على العمل الفني ، ولكنه لا يستطيع تفسير العمل الفني ذاته .

٢- ويرى دراكوليدس ، احد اتباع فرويد ان الخلق الفني في جميع مظاهره ليس الا ظاهرة بيولوجية نفسية ، ليس الا تعويضا مصعدا عن الرغبات الغريزية الاساسية التي ظلت بلا ارتواء في العالم الخارجي ، او في العالم الداخلي . وينتهي دراكوليدس الى ان الفنان يسعى من خلال آثاره وخياله الى ارواء رغباته . وهو من وجهة النظر السيكولوجية يقع بين الحالم والعصابي . ويؤكد على ان الحالم والفنان والعصابي يلتقون في الهروب من الواقع والعودة الى العالم الخيالي مع فارق واحد وهو ان الحالم بعد ان يستيقظ يعود الى الواقع ، وان الفنان يعود الى الواقع بالخلق الفني ، بينما العصابي يستمر على الانحباس في حلم عالمه الخيالي .(٢)

فهو هنا كأنه يطبق ما جاء به فرويد حرفيا من ان ابداع الفنان ينبع من نفسه بسبب الحرمان الذي يشعر به . فيحاول الفنان ان يعوض عن هذا الحرمان بالخلق الفني .

---

١) C.G . Jung , Ibid , P. 197 .

٢) سامي الدروبي ، علم النفس والادب ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١م ص ٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ - أمّا الناقد الانجليزي هربرت ريد ، فيرى أنّ من واجب الناقد أن يلتقط من علم النفس أحد اسلحته لأن علم النفس يستطيع أن يمدنا دائما بمفاتيح لكثير من المعضلات المرتبطة بشخصية الشاعر ، وفن الشعر ، وتذوق القصيدة . غير أنه لا يرغب أن تكون الطريقة السيكولوجيّة في النقد ، هي الطريقة الوحيدة ، مع أنّه يدرك صلاحيتها ، فبمعونتها وهديها نستطيع أن نقدّم أحكامنا الادبيّة الى " محكمة مراجعة " (١)

ويضيف ريد الى ذلك أن النقد يجب أن يعنى أول كل شيء بعمليّة الخلق وبالحالة العقليّة عند المنشيء في فترة الالهام ، وليس بالعمل الفنيّ وحده (٢) .

ولذلك فهو يدعو الناقد الى أن يتجه الى علم النفس العام دون تحيّز ، لأنّه سيجد حين ذاك نتائج مهمة متفقا عليها من علماء النفس أنفسهم . ويستطيع أن ينتفع الناقد بها كثيرا في فهمه للأدب . وتساءل ريد قائلا : لم يزدهر شاعر ما - في غالب الاحيان في فترة بلوغه وأوائل رجولته - ثم يخمد بعد ذلك ؟ لم يجيء الالهام في نوبات ، وغالبا في فترات من السنين ؟ لم ترك (ملتن) كتابة الشعر مدة خمس وعشرين سنة ؟ لماذا كتب (جراى) قصيدة واحدة فقط رائعة الجودة ؟ لماذا استمرت القريحة الشعريّة عند (وردزورث) تخرج نفسها المكونة مدّة عشر سنوات ، ثم انحطت بعد ذلك الى فقر نسبيّ ؟ ويرى ريد أن مثل هذه الاسئلة يمكن أن يجاب عليها على أساس فهم العلاقة بين الشخصيّة والابداع الفنيّ . يقول ريد :

" اني مقتنع بأن علم النفس التحليليّ هو المفتاح لاغلب المسائل الفنيّة غير المحلولة " (٣)

---

(١) محمد خلف الله أحمد ، من الوجهة النفسيّة في دراسة الادب ونقده ، ط٢ ، (القاهرة ، ١٩٧٠م) ، ص ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠ ،

(٣) هربرت ريد ، الفن والمجتمع ، ترجمة فارس ضاهر (بيروت : دار القلم ، ١٩٧٥) ص ١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقّـــاد المـــــرب :

١ - كان ممن طرق موضوع الصلة بين علم النفس والأدب ، الباحث الناقد محمد خلف الله أحمد ، الذى بدأ - في أواخر الثلاثينات - التخطيط لهـذا الموضوع ، والنهوض بجزء كبير منه ، عندما بدأ ذلك الموضوع يأخـــذ مكانه في جدول الدراسات العليا بقسم اللغة العربية في الجامعـــة المصرية ، ويرى خلف الله أن الصلة بين الأدب وعلم النفس وثيقـــة ومتبادلة ، وأن الاحتكاك بينهما جاء طبيعيّـا ، كما كان طبيعيّـــا أن يحتك الادب ودراسات الجمال . ويشير خلف الله الى أنّ هذيـــن النوعين من الدراسة : أى النفس ، والجمال ، أصيلان في طبيعة الادب . وليس ادل على ذلك ، من أن يحاول الباحث وضع تعريف علميّ لـــلأدب اذ لا يلبث الا ريثما تبدو له ناحيتا الذوق والنفس في مكانهما الجوهـرىّ من انتاج الأدب وجماله ومنافذه الى النفوس .(١) .

ثم يتساءل خلف الله - بعد أن يتناول بالدراسة والتحليل أهم جوانـب هذه الصلة - قائلا :

" فهل نعجب بعد ذلك أن نرى تيارات علم النفس تحتك بالأدب ودراسته في غير موضوع؟ أليس الأدب مـن أروع ما تنتج نفس الانسان ؟ أليس وليد الشخصيّة الانسانيّـة ؟ أليس المعبرّ عما تنطوى عليه النفس من شعور واحساس ؟ أليس مظهرا من مظاهر العبقريّة والخلق الانسانييّـن ؟ ثم أليس الادب صلة بين انسان وانسان ؟ أليس القارىء ، قارىء الادب ومتذوقه وسامعه أناسا يحسّون ويتذوّقـون ويعجبون وينقدون ؟ "(٢)

(١) محمد خلف الله أحمد ، المصدر السابق ، ص ٢١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتهي خلف الله الى القول : "بأن هذا الاتجاه النفسانيّ في فهم الادب كان طبيعيا اقتضته المرحلة الحاضرة من تطور العلم الانساني ، واصطباغها بصبغة الدراسات التفسانية ، واقتضاه كذلك ايغال الأدب نفسه في تصوير نواحي الحياة الانسانية ، وظهور الروايات السيكولوجيّة ، التي تفنّنت في الكشف عن خبايا النفس وعقدها الباطنة ، بل اقتضاه ميل الفكر في عصرنا الحاضر الى الفهم والمعرفة ، أكثر من ميله الى مجرد الذوق والاستحسان".(١)

٢ - وعند ما يحاول عز الدين اسماعيل بيان العلاقة الكميّة والكيفيّة بين منهج التحليل النفسي والاعمال الفنيّة ، نجده يؤكد أنّ ثمة تماونا وتجاورا بين الشاعر والعالم النفسانيّ . ويضرب مثلا بفرويد ، وكيف أفاد كثيرا من شكسبير في تفسيره لشخصيّة " هملت " ، ثم يقول بعد ذلك : "وليس غريبا على طبائع الاشياء أن يفيد علم النفس - (ممثلا في فرويد) - من الشعر (ممثلا في شكسبير) ، اذ أن الهدف في كلتا الحالتين مشترك ، وهو كشف أكبر قدر ممكن من جوانب الحياة الانسانية".(٢)

وعلى هذا فهو يرى أننا اذا كنا في سبيل فهم الادب وتفسيره - سواء في دلالته ، أو في الصفة الابداعيّة ذاتها - كان في علم النفس وسيلة أي وسيلة لفهم الادب على أساس صحيح. ويختم عز الدين اسماعيل كلامه في هذا الموضوع بقوله :

---

(١) محمد خلف الله أحمد ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٢) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسيّ للادب ، ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ولسنا نبعد في القول فندعي أن الادب أو الفن يمكن تفسيره من جميع جوانبه في ضوء علم النفس، وانما نست طيع بسهولة أن ندّعي أن علم النفس قادر على أن يفسّر لنا بعض الجوانب التي ظلّت غامضة في الماضي. "(١)

وفي هذا القول لعز الدين اسماعيل اعتراف صريح بمحدودية فائدة علم النفس فهو يساعد على تفهم بعض الجوانب الغامضة فقط، ولكنّه ليس بقادر على تفسير الفن من جميع جوانبه الذوقية والجماليّة والفنيّة. وهنا يمكن أن يبرز سؤال على جانب كبير من الأهمية وهو: كيف يمكن لقاء علم النفس والادب، مع أن الاول علم بالكليّات، والثاني معرفة بالمفردات، ومع أن لكل منهما غاية تختلف عن غاية الآخر ؟

٣ - وهنا يأتي سامي الدروبي ليقرّر -بدقة الباحث المتعمّق- أن علم النفس معرفة كليّة تفيد الحياة، وأن الادب معرفة عميقة بالمفردات تلبي الشوق الى المعرفة الصادقة النافذة(٢). غير أن تساؤلا آخر قد يرد على الذهن، وهو: ان علم النفس معرفة يتصف بالموضوعية مثله مثل باقي العلوم، وأن الادب معرفة تسند اليه (الذاتيّة)، مثله مثل سائر الفنون. فكيف اذن يتم لقاؤهما ؟ وعلى أي نحو يبدو اتصالهما ؟ يرى سامي الدروبي أنّه لا تعارض ولا اختلاف بين (الموضوعية) التي تسند الى المعرفة العلمية، وبين (الذاتيّة) التي تسند الى

---

(١) عز الدين اسماعيل، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٢) سامي الدروبي، علم النفس والادب، ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعرفة الفنيّة، ويعلل رأيه بقوله : " ان (موضوعيّة) العلم تشتمل على (ذاتيّة) ،كما أن (ذاتيّة) الادب تشتمل على (موضوعيّة)."(١)

فالمعرفة العلميّة واقعية لأنّها تدرس الوجه المادي من الاشياء، والمعرفة الفنيّة واقعيّة لانّها تدرس الوجه الروحي . وهكذا يتصالح العلم والفن على صعيد الواقعية الخاصّة بكل منهما . ويخلص سامي الدروبي من هذا كلّه الى رأى مفاده أنه لا تعارض بين علم النفس والادب . وأن دراسة شخصيّة الاديب - من خلال آثاره - مفيدة الى حد بعيد ، وان لم تكن هي الكلمة الاخيرة في الحكم عليه .

٤ - ويفرّق محمود السمّرة (٢) - في حديثه عن العلاقة بين الأدب وعلم النفس - بين نوعين من الأدب : الادب النفسيّ ، والادب التخيّلي. والادب النفسي هو الذى يستقى مادته من عالم الانسان الواعي : كتجاربه في الحياة والصدمات العاطفية ،ومآسي البشر . وهذا النوع من الأدب لا يستطيع ان يمزّق الحجب التي تستر اسرار الكون ، ولا يتجاوز حدود الانسان المعقولة .

أما الأدب التخيّلي ،فان تجاربه تمزّق الحجب عن وجه هذا العالم فنرى ما استتر طينا وخفي ،ومثل هذا النوع نجده في (راعي هيرماس) لدانتي ،وفي الجزء الثاني من (فاوست) ،وشعر وليم بليك).(٣)

---

(١) المرجع السابق ،ص ٣١ .

(٢) محمود السمّرة ،في النقد الادبي ، ص ص ٨٢ - ٨٤ .

(٣) المرجع نفسه ،ص ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى محمود السمرة " ان مثل هذا النوع من الادب ينكره القارئ العادى ، وحتى الناقد الأدبي يقف أمامه مكتوف اليدين محرجا ، وهنا يبدأ عمل عالم النفس الأدبيّ ." (١) ويؤكد محمود السمرة على أن غموض مصادر الادب التخيّلي يدل على أن تجربة انسانيّة من نوع سام تختفي وراء هذا الابهام ، ولذا فان علماء النفس الادبي يحاولون دوما تفسير هذا الغموض ، وفهم السبب الذى حدا بالشاعر الى اخفاء تجربته عنا." (٢)

يتضح من خلال هذا التفريق بين نوعين من الأدب ، أن هناك نوعين من التجارب يمرّ بهما الاديب ، فتجربة بسيطة واضحة ولا تستحق أى عناء وتعب في الدراسة ، وتجربة غامضة تحتاج الىّ مزيد من الشرح والتفسير . والتجربة الثانية هي التي يمكن أن يكون لعلم النفس الادبي دور في تحليل رموزها ، وفي معرفة ما يختفي وراء تلك التجربة من معان ودلالات وربما هنا تكون حاجتنا الى علم النفس الادبي أكبر ، حتى يساعدنا على فهم هذا الابداع الفنيّ ، الذى نتج عن تلك التجربة الفنيّة الغامضة . وقبل أن نرى كيف يمكن لعلم النفس الادبي أن يلقي الاضواء على العمل الابداعي ، يحسن بنا أن نقف عند قضيّة الابداع الفنيّ ، وذلك حتى نصل الى رأى واحد من خلال مفهوم علماء النفس ونّقاد الادب الى الابداع .

---

(١) محمود السّمرة ، المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الابـــداع الفنـــيّ :

لقد بات واضحا أن أيّ تفسير للعمليّة الفنيّة الابداعيّة لا يأخذ في حسابه متلقي الفن ، يصبح تفسيرا ناقصا وغير مقنع. ولهذا صار لزاما على كلّ من يخوض في هذه القضيّة أن يربط بين الفنان وفنّه من جهة ، وبينهما وبين متلقيّ فنه من جهة أخرى ، وذلك حتى " تتكامل لدينا نظريّة عامّة في الفن." (١)

وقضيّة الابداع الفنيّ كانت قد شغلت أذهان الفلاسفة والمفكّريـــن ، منذ بواكير الفكر الفلسفيّ وارهاصاته الأولى ، الضاربة جذورها في أعماق التاريخ. فقد كان قدماء الاغريق يعتقدون أنّ الالهام هو مصدر الابداع الفنيّ ، وكانـوا ينظرون الى الالهام على أنّه وحي يتنزل على الفنان من عالم مثالي ، وأنّه ليس له أي تدخل ايجابي في هذه العمليّة. (١) وكان هوميروس (٢) قد استجدى ربّات الشعر أن ينعمن عليه بالالهام ، كما كان هيراقليطس قد تحدّث عن نفسه بقوله :

" انني كالمرّافات اللواتي يصدرن في كلامهن عن وحي
والهام ، وتردّد أصواتهن حقائق الهيّة على مـــــر
العصـــور." (٤)

---

(١) عز الدين اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٢) عبد الرؤوف البرجاوي ، فصول في علم الجمال ، ط١ (بيروت : دار الافـق الجديد ، ١٩٨١م) ، ص ١١٥ .

(٣) صاحب التحفة العالميّة الخالدة " الالياذة " التي تعتبر المثال الوحيد الكامل للملحمة الشعريّة حسب تقسيم ارسطو ، وتتكون من (١٥٥٣٧) بيتا (م٩٠ ق م) .

(٤) جان ماري جويو ، مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، ط٢ ، ترجمة سامي الدروبي (القاهرة : دار الفكر ، ١٩٦٥م) ، ص ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبسبب عمق قضيّة الابداع الفنيّ ، فقد وجدنا أبحاثا مستفيضة وبنظريات عديدة (١) ، بحثت في تفسير الابداع الفنيّ ، غير أنّ الذى يهمّنا من هذه النظريات جميعها ، النظريّة السيكولوجيّة، من وجهه نظر كل من " فرويد " و"يونج " . ودعنا نطلق على " فرويد ومن تبعه من التلاميذ ،وعلى " يونج" ومن تبعه في تحليل الفن والادب اسم " جماعة التحليل النفسيّ للادب" .

لم تكن النظريات التي تناولت الابداع الفنيّ مقنعة لدى " جماعة التحليل النفسيّ للأدب ،فرفضوا التحليل الاسطورى الذى يرد الابداع الى وحي الهي يمد الانسان بتلك القوّة التي يسمّونها ابداعا . كما أنه لم يقنعهم تفسير النظريّة العقلية ،التي تردّ الابداع الى العقل الواعي وحسب ، ولم يلق منهم تفسير النظريّة الاجتماعيّة ـ التي ترى أن عمليّة الابداع الفنيّ تخضع لتأثرات سوسيولوجيّة (٢) ـ أكثر ، مما لقيت النظريات السابقة. فكان لا بد اذن من أن يقدموا تفسيرا مغايرا يرضون هم عنه ،ويركنون اليه . ونستطيع القول منذ البدايّة : انّ جماعة التحليل النفسيّ للادب أزالوا الطابع الاسطورى عن مفهوم الابداع الفنيّ ،وأرسوا قواعده عند الفنانيين على اسس علميّة ليست فوق طبيعة البشر ، أو في أعالي قمم الجبال ،وانما هي في الاسفل وفي العمق ، في بواطن نفوس الفنانيين(٣) . ولكن قبل ان نخوض في تفسيرهم للعمليّة

(١) تحدّث د . علي عبد المعطي عن أربع نظريات فسّرت الابداع الفنيّ ، لمزيد من التفاصيل ، انظر: علي عبد المعطي ، مشكلة الابداع الفنيّ : رؤية جديدة (دار المعارف المصريّة ، ١٩٧٧) .

(٢) علي عبد المعطي ،المرجع السابق ،ص ١٠٦ .

(٣) انظر: عبد الرؤوف البرجاوى ، فصول في علم الجمال ،ص ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الابداعية[١] ، يجب أن نتحدث عن مفهوم الشخصية عند جماعة التحليل النفسي للأدب ، وذلك لان الابداع - أي ابداع - يصدر عن شخصية انسانية . ولأن هناك اتفاقا على الاصول ، واختلافا في الفروع ، فسأكتفي بالاشارة الى مفهوم " فرويد " للشخصية ، الذى يشاركه فيه بعض طلابه دون نقاش ، ويشاركه فيه " يونج " مع بعض اختلاف سيتضح بعد قليل .

يذهب فرويد[٢] الى أن الشخصية - أي شخصية - تتكون من ثلاث قوى ، هي : (الهو) ، و(الانا) ، و(الانا الاعلى) :

---

(١) كان تفسير العملية الابداعية أحد الاهتمامات الرئيسية لدى فرويد وتلامذته واتباعه الذين كتبوا في هذا الشأن . نذكر منهم على سبيل المثال : ارنست جونز ، هانزساكس ، اتورانك ، وشارل بودوان وغيرهم ، ولدى يونج ايضا .

(٢) اعتمدنا في عرض مفهوم فرويد للجهاز النفسي ، الذى تتكون منه الشخصية

أ - فرويد ، تفسير الاحلام .

ب - فرويد ، الموجز في التحليل النفسي ، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام القفاش ، مراجعة مصطفى زيور (دار المعارف بمصر ١٩٦٢م) ص ص ١٦ - ١٧ .

جـ - فاليرى لبيين ، مذهب التحليل النفسي ، وفلسفة الفرويدية الجديدة ص ص ٣٨ - ٤٠ .

د - كالفين هول وجارد نزليندزى ، نظريات الشخصية ، ترجمة فرج احمد فرج ولطفي فطيم ، وقدرى خفني ، مراجعة لويس مليكة ، ط٢ ، دار المشايخ للنشر ، ١٩٧٨م ، ص ص ٥٣ - ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والهو Id

هو القسم الاقدم الذى يحتوى كل ما هو موروث من ميلاد الفرد حتى لحظة حاضره . ويعتبر مخزن الطاقة النفسيّة ، ويمثّل الشهوة ، والاهواء غير المروّضة ، والنزعات الأوليّة ، التي كان يعتمد عليها الانسان الأول قبل عصر المدنيّة في حياته الهمجيّة ، ويندفع (الهو) لاشباع حاجاته وميوله الغريزيّة وفقا لمبدأ اللذة ، دون أن يخضع لقوانين المنطق .

و (الأنا) Eg o

ويعمل وفق مبدأ الواقع وما هو موجود فعلا وممكن . فهو يتوسط بشكل تنفيذى بين العالم الخارجي ، وبين مطالب (الهو) ، ويبذل قصارى جهده من أجل التوفيق بين مطالب (الانا الاعلى) و (الهو) و (العالم الخارجي) .

أمّا (الأنا الاعلى) superego

فيمثّل جميع القيود الخلقيّة ، والضمير الحيّ الذى ينزع الى الكمال ، وعليه واجب مراقبة الذات ، واقامة المثل العليّا ، كما يقوم بمحاولة الضغط على (الأنا) لاستبدال الاهداف الواقعيّة بأهداف مثلى باتّجاه البحث عن الكمال .

ويرى فرويد أنّ الصراع قائم بين هذه القوى ، ومحصّلة هذا الصراع تتجلّى في سلوك الشخص في أى موقف . والابداع ينتج عن الصراع القائم بين هذه القوى . أمّا وسائل هذا الصراع فهي ما يطلق عليها اسم الآليات ، وهي : القمع Supression ، والكبت Repression ، والتسامي Sublimation والقلب Conversion ، والحدس Intuition

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والآن ، وبعد أن رأينا موقف " جماعة التحليل النفسيّ للأدب " من النظريات السابقة ، نستطيع أن ننتقل الى تفسير كل من فرويد ويونج للعملية الابداعيّة . وسنرى رأييهما عن طريق الاجابة على ثلاثة أسئلة ، هي :

١ . من أين للفنان هذه الابداعات والصور التي يأتي بها ؟
٢ . ما هي علّة عمليّة الابداع الفنيّ ؟
٣ . كيف تحدث عمليّة الابداع الفنيّ ؟

ولنبدأ بشيخ علماء التحليل النفسيّ : أعني فرويد ، فماذا يقول في اجاباته على هذه الاسئلة ؟

(١) يرى فرويد[١] أن هذه الابداعات والصور التي يبدعها الفنّان ، تنبع لديه من (اللاّشعور) ، أو بمعنى أدق ، من (اللاشعور الشخصي) ، تمييزا له عن (اللاّشعور الجمعي) الذي نادى به " يونج " فيما بعد .

أمّا علّة الابداع فهي عند فرويد تكمن في ضغط " مركّب أوديب "[٢] على نفسيّة الفنان من جهة ، وفي ضغط الواقع الخارجي عليه من جهة أخرى ، مما يدفع الفنان الى البحث عن وسيلة للاشباع الخيالي لبعض حاجاته ، فيجدها في الفن .

---

(١) انظر : مصطفى سويف " التحليل النفسي والفنّان " مجلة علم النفس ، عدد ٢ ، (١٩٤٦م) ، ص ص ٢٨٢ - ٣٠٢ .

(٢) هاري ويلز ، باظوف وفرويد ، ج ٢ ، ترجمة شوقي جلال (الهيئة المصريّة العامة لكتاب ، ١٩٧٨ م) ، ص ٢٢ ، يرى فرويد أنّ الاصول التي نشأ عنها المجتمع والدين والاخلاق تتركز كلها في " عقدة أوديب " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا كيف تتم عمليّة الابداع الفنيّ (١) ، فان اجابة فرويد ترتبط بمفهومه للشخصيّة ، الذى تحدثنا عنه قبل قليل . (فالانا) يعاني التوترات نتيجة الضغط المستمر من (الانا الاعلى) و (الهو) ، لأنّ وظيفة (الانا الاعلى) الضغط والكبت (٢) ، ووظيفة (الهو) النزوع الى المحرّم .

ونتيجة هذا الصراع تبدو شخصيّة الانسان في أى سلوك يسلك ، فالفنان الذى يستبدل بأهدافه القريبة الشبقيّة أهدافا أخرى أرفع قيمة من الناحية الاجتماعيّة ، وغير جنسيّة ، يكون قد قام بعمليّة تسامي أو اعلاء . فهو اذن يعلّل كيفيّة حدوث الابداع الفنيّ بالتسامي أو الاعلاء .

(٢) ولنمض الآن مع يونج لنرى ما في جعبته من اجابات على الاسئلة المطروحة . يتفق "يونج" (٣) مع "فرويد" في أنّ ابداعات الفنّان وصوره

---

(١) للاجابة على هذا السؤال خصّص مصطفى سويف بحثا كاملا قصره على الشعر فخرج كتابه "الاسس النفسيّة للابداع الفنيّ في الشعر خاصّة" .

(٢) لمعرفة المزيد عن نظريّة الكبت ، انظر : روبرت وودورث ، مدارس علم النفس المعاصرة ، ترجمة كمال الدسوقي (بيروت : دار النهضة العربيّة ، ١٩٨١م) ، وانظر : تفسير الاحلام .

(٣) انظر :
أ . فاخر عاقل ، مدارس علم النفس ، ط٥ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨١م) ، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٦ .
ب . ويلهلم رايش ، وآخرون ، الانسان والحضارة والتحليل النفسي ، ترجمة انطون شاهين (دمشق : وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٩م) ص ص ٦ - ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنبع من (اللاّشعور) ولكنه يختلف معه في فهمه لهذا اللاّشعور. فعلى حين يراه فرويد فرديّا ،نجد "يونج" يطلق عليه (اللاّشعور الجمعي) Collective un conscious وهو يعتبره مخزن آثار الذكريات الكامنة، التي ورثها الانسان عن ماضي أسلافه ،والمتخلفات النفسيّة لنمو الانسان التطوريّ . واللاّشعور الجمعي - في نظر يونج - هو منبع الابداع الفنيّ ، فهو الذى يحوى كل الخبرات الانسانية من أوهام ،واساطير ،وذكريات، وانماط سلوكيّة ،وعبادات وغير ذلك. وتسمى نظرية "يونج" في الابداع بنظريّة الاسقاط(١) ،التي تعني : "العمليّة النفسيّة التي يحوّل بها الفنّان تلك المشاهد الغريبة التي تطلع عليه من أعماقه اللاّشعوريّة ،الى موضوعات خارجيّة يمكن أن يتأملها الآخرون".(٢)

أمّا علّة الابداع ،فيرى "يونج" أنّها تكمن في تقلقل (اللاّشعور الجمعي) في فترات الازمات الاجتماعيّة ،مما يقلّل من اتزان الحياة النفسيّة لدى الفنّان ،ويدفعه الى محاولة الحصول على اتزان جديد ،فيبدع فنّا من الفنون .أما كيف يحدث الابداع ،فانّ "يونج" يعلّله بانسحاب (الليبدو)*

---

(١) Projection theory

(٢) قاسم حسين صالح ،الابداع في الفن (دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م) ص ص ١٨ - ١٩ .

(*) libido كان المقصود بالليبدو أول الامر الشهوة أو الطاقة الجنسيّة ثم صار معناها الطاقة او الدافع الحيوى ،وهي لدى يونج تعني الطاقة النفسيّة التي تحدّد شدّة العمليات النفسيّة الجارية في نفس الانسان، انظر: اسعد رزوق ،موسوعة علم النفس ،ص ٤٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من العالم الخارجي وارتداده الى داخل الذات ، فينتج عن ذلك اضطراب في مادّة (اللاّ شعور الجمعي) ، التي تتألف من النماذج الرئيسيّة البدائية.(١) .

على هذا النحو يعد و تفسير عالمين من علماء النفس عملية الابداع الفنيّ .

فاذا غضضنا النظر عن قضيّة بالغة الاهميّة في تفسير " فرويد " و " يونج " ، تدور حول المنهج الذى استخدماه في الوصول الى هذه النتائج ، اذ كان منهجهم منهجا استدلاليّا ، وليس منهجا علميّا تجريبيّا دقيقا(٢) ،

---

(١) فاليري ليبين ، مذهب التحليل النفسي وفلسفة الفرويديّة الجديدة ، ط١ ، (بيروت : دار الفارابي ، ١٩٨١) ، ص ١٠٤ .

(٢) مصطفى سويف ، الاسس النفسيّة للابداع الفنيّ في الشعر خاصّة ، ص ٢١ .

يقوم المنهج العلمي التجريبي على ملاحظة الوقائع وتجربتها ، فينشأ عن تلك الملاحظة فكرة عامّة في ذهن الباحث أو فرض من الفروض ، يكون بمثابة فكرة تفسيرية او اقتراح تفسيرى مؤقت ، وبعد ذلك يخضع الباحث هذا الفرض لملاحظات وتجارب حاسمة وموجهة ، تعينه على التحقق من صحّته ، فاذا ثبت هذا الفرض أمام هذه الملاحظات والتجارب ، فانه يصبح قانونا علميّا ، والا فانه يترك ويهمل .

انظر : علي عبد المعطي ، المنطق ومناهج البحث ، الباب الثالث ، (الاسكندرية : دار الجامعات المصريّة ، ١٩٧٧م) ، وانظر : لانسون ومايير ، منهج البحث في الادب واللغة ، ترجمة محمد مندور (بيروت : دار العلم للملايين) ، ١٩٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقول لو اننا غضضنا النظر عن ذلك ، فاننا نجد أن أيّا من المدرسيين لم تجب عن سؤال مهم جدّا ، وهو : كيف خرجت هذه الابداعات وتحققت في ابداع فنيّ ملموس ؟ وما هو دور العمل وما يصاحبه من أداء أو تنفيذ ، يتطلب وجود مادّة تتشكّل فيها تلك الابداعات (١) .

فلو حاولت أن تفتش كل ما كتبه " فرويد " و "يونج " ، فانك لا تكاد تظفر باجابة على هذا السؤال . فلم تصف " النظريّة السيكولوجيّة" عنصر التنفيذ والاداء ، ولم تحدّثنا عن كيفية حدوث الابداع من بدايته وحتى نهايته ، أضف الى ذلك كلّه أن هذه " النظريّة" لم تفسّر لنا لماذا يتجّه هذا الفنان الى أبداع الشعر ، وذاك الى ابداع الرواية ، وثالث الى ابداع الرسم ، وهكذا دواليك .

وعلى هذا الاساس ، فان تناولهم وتفسيرهم لقضيّة الابداع الفنيّ ، كان قاصرا ، لا يقدّم جوابا جامعا مانعا على رأى المناطقة.

ثمّة قضيّة مهمّة كنا قد أشرنا اليها في بداية حديثنا عن الابداع ، وهي قضيّة متلقي الفن ، فهل أخذت " النظريّة السيكولوجيّة " بعين الاعتبار ذلك المتلقيّ ؟ ثم ماذا تقول تلك النظريّة في نوعيّة الاعمال الفنيّة التي تعجبه فيرضى عنها ؟ والاجابة نابعة من تصوّرهم ، فقد ربطوا المتلقيّ بهذه " النظريّة" ، وادّعوا أنه يميل الى الاعمال الفنيّة الناتجة عن عقد النقص التي تلتقي بما يحمله هو من عقد مماثلة ، أو بما يحمله من مشاعرها

---

(١) للاجابة على هذا السؤال خصص علي عبد المعطي كتابه : مشكلة الابداع الفنيّ : رؤية جديدة . ووصل الى وجهة نظر طريفة ضمنها كتابه المذكور ، انظر : علي عبد المعطي ، مشكلة الابداع الفنيّ : رؤية جديدة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكبوته لا شعوريا . فالمتلقي يجد المتعة والراحة من عناء ما يحمل من مكبوتات ،عند ما تعرض عليه مكبوتاته بشكل فنيّ . وهذا ما دفع يونج الى القول بالمشاركه الصوفيّة Participation Mystique حين قال: انّ السر في الابداع الفنيّ وفاعليته وتأثيره يكمن في حاله المشاركه الصوفيّه (١) .

وهذا الكلام غير صحيح ،وغير مقبول ،لأن الواقع يخالف ذلك . فهم يرون أن أول مظهر من مظاهر الكبت هو ميل الفرد لا شعوريّا الى تلافي المواقف والاحاديث التي ترتبط بالشيء المكبوت ،لان طبيعته تحاول دائما دفعه الى نسيانها . فلا يمكن أن يقبل على ما يذكره بها أو يخرجها من اللاشعور، لمضايقته وانزعاجه (٢) يضاف الى ذلك كله أن حديثهم عن "اللاشعور" حديث غامض غير مفهوم ،فكل انسان يملك ذلك "اللاشعور" سواء كان فرديا ،كما قال فرويد ،أم جماعيا كما قال يونج ،وكل انسان يمر بفترات الازمات الاجتماعية ، ولكن ليس كل انسان يتقلقل عنده اللاشعور الجمعي فيبدع!

واذا كان الامر كذلك ،فماذا بقي لنا يمكن الاستفادة منه في هذه الكشوف النفسيّة ؟ ما الذى يحملنا على أن ندخل الى دراساتنا نتائج ،نقرّ ونعترف منذ البداية أن المنهج الذى استخدم في التوصّل اليها ،ليس منهجا علميّا دقيقا ؟ لماذا نزج الادب والنقد في مناهج كان وجودها وقيامها على أساس استدلالي ،وليس على أساس منهج علمي صحيح ؟ والجواب على ذلك بسيط وسهل ،فعلى الرغم مما يوجّه لآراء كل من "فرويد" و"يونج" من نقد -سواء على مستوى المنهج أو على مستوى النتائج التي توصّلوا

---

(١) C.Jung, Modern Man In Search of A. Soul,p.198.

(٢) انظر: محمود ذهني ،تذوق الادب : طرقه ووسائله (مكتبة الانجلو المصرية ، د.ت) ، ص ٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليها ، أو على مستوى الدعوة لفكر معيّن[١] - الا ان مما يحمد لهما محاولتهما الوصول الى أصل الابداع الفنيّ عن طريق البحث في داخل الانسان ، واهمالهما فكرة القوى الغيبيّة ، والمفاهيم الاسطوريّة في تفسير الابداع الفنيّ . ويضاف الى ذلك أن الجانب التطبيقي من دراساتهما هو الذى يهمّنا في هذا المجال ، فقد لاحظنا من خلال هذا التطبيق من العلاقات بين جزئيات السلوك البشرى ما غفل عنه الذوق العام . وبدأت تتكوّن لدينا - بفضل علم النفس - فكرة عامّة عن طبيعة الذهن[٢] . ثم اننا ندرس شيئا واقعا وملموسا . فقد قام النقّاد والباحثون بتطبيق هذا المنهج في دراساتهم ، ومهمتنا - أصلا - أن ندرس هؤلاء النقّاد ، حتى ولو كانوا على جانب من الخطأ ، فنحن ننبّه ونشير اليه ، وندعو الناس لمحاربته ، اذن ليس من غبار على دراستنا لهؤلاء النقّاد

---

(١) يرى د . صبرى جرجس أن كثيرا من مفاهيم التحليل النفسيّ - وان عزيت الى فرويد في الاعتقاد الشائع استمدّت منابعها من الفكر الصهيوني ، ويرى أن هذه الدراسات ستظل تحتفظ من القيمة بقدر ما يفيد العلم منها : العلم في اطاره الموضوعي الخالص ، لا العلم الذى يسخّر في خدمة أغراض ظاهرة أو خفيّة .
انظر : د . صبرى جرجس ، التراث اليهودى الصهيوني والفكر الفرويدى ، ط١ (عالم الكتب ، ١٩٧٠) ، مقدمة الكتاب .

(٢) أيفور أرمسترونج ريتشاردز ، مبادئ النقد الادبي ، ترجمة وتقديم مصطفى بدوى (القاهرة : المؤسسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣م) ، ص ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين استخدموا منهج التحليل النفسي في الفنّ ، حتى لو كنا غير راضين عن هذا المنهج ، فنحن أمام ظاهرة موجودة بين اختيارين : فامّا العلم بها ، وامّا الجهل ، وقد آثرنا الاولى على الثانية ، لأن العلم بالشيء يظل خيرا من الجهل به .

الى هذا الحد ، ما زال كلامنا عن صلة علم النفس بالادب كلاما نظريا لم يكتمل من الناحيّة العمليّة ، ولهذا فانّ علينا الآن أن نشرح كيف تم لقاؤهما عمليّا ، ومن الذى بدأ منهما يغزو الآخر ، أو يدخل عالم الآخر ، هل هو علم النفس ، أو الأدب ؟

من الواضح أن اتصال الادب بعلم النفس جاء عن طريقين اثنين متلازمين غير منفصلين ، وهما :

الأول : عن طريق علماء النفس ، الذين حاولوا اخضاع النتاج الادبي لبحوثهم ، ومناهجهم ، خاصّة فيما يتصل بناحيّة الابداع الفنيّ .

الثاني : عن طريق النقّاد ورجال البحث الادبي ، الذين استضاءوا بنتائج علم النفس ، وخاصّة علم النفس التحليليّ .

أمّا أن علماء النفس قد أخضعوا النتاج الادبيّ لبحوثهم ومناهجهم ، فهذا واضح أشد ما يكون الوضوح ، في عودة " فرويد " الى الادب ، يستنبط منه بعض مفاهيم علم النفس البشريّة ، ويعمّمها ، بل ويجعلها أساسا من اسس فلسفته (١) .

---

(١) محمد مندور ، الادب ومذاهبه (القاهرة : دار النهضة المصرية ، د.ت) ص ١٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد عاد "فرويد" الى مسرحيّة "أوديب ملكا" لسوفوكليس ، اذ وجد فيها أوضح تفسير لنظريته ، التي جعل أساسها الغريزة الجنسيّة والعقد الناجمة عنها . فاستعار اسم "عقدة أوديب" ، لكل طفل يرتبط بأمّه ارتباطا جنسيا (١). واكد على أن اسطورة "أوديب" - الذي تزوج أمّه في المسرحيّة - ليست الا رمزا لهذه الحقيقة. ولم يغفر لأوديب عند فرويد - ذلك العقاب الذي أنزله بنفسه فقأ عينيه ، وحكم على نفسه بالنفي ، وظل يهيم على وجهه الى ان مات . أيضا ، فقد استعار "فرويد" اسم (الكترا) - من مسرحيّة يوربيدس ، واطلقه على البنت التي تحسّ بميل جنسيّ اتجاه أبيها ، وترى في أمّها عقبة أمام تحقيق هذه الرغبة لا بد من ازالتها (٢) .

وعلى الرغم مما في هذه التفسيرات والاستنتاجات من مبالغة ممجوجة لا يرتضيها الذوق الانسانيّ العام ، الا أنّها تشير الى حقيقة لا يمكن اغفالها ، وهي أن "فرويد" اعتبر هذا الادب هو واقع الحياة ، وأن هذا المركب "أوديب" أصيل في جبلّة البشريّة (٣). ويرى البورت Allport أن الادب زوّد علم النفس بدراسات لحالات تحليلية ثاقبة ، وأساليب تساعد على دراسة الشخصية ، أهمّها أن عددا من الروائيّين كانوا يحلّلون الشخصيات الروائيّة بدقة ، بحثا عن جوهر الشخصيّة وتغيراتها

---

(١) انظر: محمود ذهني ، تذوق الادب : طرقه ووسائله ، ص ٣٨٦ .

(٢) انظر: محمود ذهني ، المرجع نفسه ، ص ٣٢٨ .

(٣) انظر: محمود ذهني ، المرجع نفسه ، ص ٣٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاساسيّة ، وذلك من خلال تعريض تلك الشخصيات الى مواقف حياتيّة نموذجية(١) . ونستطيع أن نقول في طلاب فرويد ما قلناه في استاذهم ، فقد رجعوا الى الادب واستضاءوا به واستفادوا منه ، " وجعلوا رسالتهم أن يتفهموا منهجه ، وأن يضيفوا اليه ، ما يتفق وطبيعته"(٢) . ولعل من أبرز هؤلاء الطلاب " ارنست جونز"(٣) الذى قام بدراسة تحليليّة لمأساة " هملت " ، مقتفيا خطى استاذه بما كتب عن " هملت " في كتابه " تفسير الاحلام ". وقد انتهى " جونز " الى تأكيد رأى أستاذه من أن هذه التمثيليّة ليست الا تصويرا مقنّعا بعناية بالغة لحب صبيّ لأمه ، وكراهية لأبيه ، وقد رأيت أن اقف عند نموذجين من دراسات فرويد ، استهلّ بهما طريقته في تحليل الفن ، وذلك حتى تتضح الصورة ، وتبدو أكثر نصاعة ، حين نتعرّف الى تلك الدراسات التي قادت خطى كلّ من خاض غمار التحليل النفسيّ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فانّ الرجوع الى تلك الدراسات يمكّن الباحث من معرفة قيمة الدراسات اللاحقة ، ومن الحكم على دراسات النقّاد المعاصرين ، الذين نحن بصدد الحديث عنهم .

---

(١) قاسم حسين صالح ، الابداع في الفن ، ص ٤٥ ، نقلا عن :

Allport, G.W. Pattern and growth in personality, New yourk: Holt, Rinehart and Winston, 1961, p.67.

(٢) مصطفى سويف ، الاسس النفسيّة للابداع الفنّي في الشعر خاصّة ،

(٣) أنظر:

Jones, Ernest, Hamlet and odipus, Garden city, N.Y. 1954.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهجان مختلفان في البحث:

لقد حرصت على أن اختار هذين النموذجين لأنّهما يمثّلان منهجين مختلفين في تحليل الفن :

المنهج الأول :

الباثوغرافيا (المرض العصبي) ،أو دراسة الشخص المريض نفسيّا ،واتخاذ انتاجه الفنيّ هاديا له في الدراسة .

المنهج الثاني :

التحليل النفسيّ للأدب ،أو دراسة الاثر الادبيّ دراسة تحليليّة نفسيّة .

واني على يقين من أن عرضي لهذه النماذج قد يثير اعتراضا عند البعض، على اعتبار أن " فرويد " نفسه قد اعترف أن منهج التحليل النفسيّ عاجز عن كشف طبيعة الابداع الفنيّ ،اذ قال "على التحليل النفسي -للاسف- أن يلقي بأسلحته أمام مشكلة الفنان الخالق"(١) غير أن هذا الاعتراض -مع أنه يبدو سليما في نطاق المنطق الشكلي -تنقصه الدقّة في البحث ،ومعرفة الكتاب من مؤلفاتهم ،وليس من أقوالهم عن أنفسهم ،ولا من أقوال غيرهم عنهم ،فنحن أمامنا النص ،وهو الحكم الأول والأخير ، والنص هنا هو كتابات " فرويد " المتعددة . أضف الى ذلك أن " فرويد " نفسه شغل بمسألة الابداع الفنيّ في معظم كتبه ومؤلفاته (٢) . وهذا دليل على أن اتجاهه العام قد ركّز

---

(١) سيجموند فرويد ،التحليل النفسي والفن : دافنشي ودستويفسكي ، ط١ ،ترجمة سجر كرم (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٥) ،ص ١٩٤

(٢) من مؤلفاته التي تحدث فيها عن الابداع الفنيّ : تفسير الاحلام ، التحليل النفسي والفن ، الهذيان والاحلام في الفن ،وغيرها كثير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على مسألة الابداع من خلال منهجه ، مما جعل أصول منهجه تمتد الى عدد كبير من علماء النفس - والباحثين والنقّاد ، وهذا أعطاها ميزة الانتشار السريع وجعلها حركة علميّة لا سبيل الى دحض نتائجها ، بحجّة أن أحد القائمين بها ألقى بهذا النص أو ذاك في أحد مؤلفاته (١) . ثم أنّ هذه الاعترافات يجب أن تكون دافعا قويا للباحث للنظر في مناهجهم وارائهم ، حتى يتبين فيها الغث من السمين . والآن لننظر في هذه الدراسات :

ليوناردو دافنشي (٢):

اعتمد " فرويد " (٣) في تحليل الابداع عند " دافنشي " على دراسة مذكراته وتحليلها ، وما كتبه عنه بعض المؤرخين ، وبعض الملاحظات التي وردت عنه ، بالاضافة الى بعض الصور واللوّحات التي تركها ، ولنبدأ بدراسة هذه الآراء بالترتيب .

---

(١) مصطفى سويف ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٢) Leonardo Davinci ، أحد أعلام الفن الايطالي في عصر النهضة (١٤٥٢ - ١٥١٩م) ، حاز قصب السبق في التصوير والنحت والعمارة والشعر والموسيقى والفلسفة ، من اشهر منتجاته صورة الموناليزا ، مصورة على خشبة ارتفاعها (٧٧سم) ، وعرضها (٥٣سم) ، انظر : مجلة الثقافة ، العدد الرابع ، ١٩٣٩م ، السنة الاولى ، ص ٢٢ .

(٣) سيجموند فرويد ، التحليل النفسي والفن ، ص ص ١ - ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : مذكرات دافنشي :

أ - ومن اوائل مذكراته الحلم الذى رآه وهو طفل صغير ، وفحواه أنّ نسرا ضرب فمه بذيله. يأتي فرويد ليفسر ذلك الحلم ، فيقول : "انّ هذا القول يشير الى الرغبة في أخذ حلمة ثدى أمه في فمه".(١) وحتى يبرّر استبدال الام بالنسر ، قال : انّ الام تمثّل في نقوش قدماء المصريين الهيروغليفية بصورة النسر ، وكان المصريون يعبدون الهه للامومة اسمها موت Mut ، ورأسها يشبه رأس النسر".(٢) وعلى هذا فانّ "ليوناردو" يحتفظ بحبّ أمّه في لا شعوره ، فصار يهرب من النساء اللائي يمكن أن يسبّبن له في أن يكون خائنا لأمّه ، حتى أصبح مريضا بالجنسيّة المثليّة عن طريق علاقاته الشبقيّة بأمّه .

ب - ومن مذكراته ما دوّنه عن وفاة والده قائلا :

"وفي التاسع من يوليو (١٥٠٤م) ، يوم الاربعاء في الساعة السابعة ، مات سير بيرو دافنشي الموثق بقصر آل بوديست - أبي ، في الساعة السابعة ، كان في الثمانين من عمره ، وترك عشرة ابناء وبنتين".(٣)

ولأنّ دافنشي أعاد (في الساعة السابعة) مرتين ، رأى فرويد ، أن شيئا ما يجرى اخفاؤه أو قمعه(٤)، وهذا الشيء هو رغبة دافنشي في أن يحلّ محلّ أبيه ليلعب دور السّيد العظيم .

---

(١) فرويد ، المرجع نفسه ، ص ٥٧ .

(٢) فرويد ، المرجع نفسه ، المكان نفسه .

(٣) اد مون وسولي ، ليوناردو دافنشي ، ترجمة طه فوزى ، ومراجعة حسن محمود (مؤسسة روزاليوسف ، ١٩٦٤م) ، ص ٢٧٦ .

(٤) فرويد ، التحليل النفسي والفن ، ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - ومن احدى الملاحظات التي كتبها دافنشي عبارة تعبّرعن رغبته في فن الطيران ،يقول فيها : " ان الطائر البشريّ سيقوم بأوّل طيران له ،أيّها العالم بالبهجة ،فتشغل كل الكتابات بشهرته ،جالبا مجدا خالدا للعش الذى يقفز اليه (١) . يقول فرويد تعليقا على هذه الملاحظة: " ومعنى هذا أن الطيران يشير الى رغبه طفليّة مبكرة على الاتصال الجنسي"(٢) فالاطفال الذين تلهبهم - خلال سنيّ الطفولة - الرغبة في أن يحاكوا الكبار البالغين ،فاذا شعر الاطفال خلال بحثهم الجنسيّ أن البالغين يسرفون في اخفاء بعض ما يودّون معرفته ، فان رغبة عارمة تنتابهم لمعرفة ما خفي عليهم ،ويحلمون به في صورة الطيران . وهكذا فانّ فن الطيران الذى بلغ مداه في أزمتنا له أيضا جذوره الطفليّة الشبقية.(٣) .

د - ومن الملاحظات التي وضعها "دافنشي " قوله :" ان الحبّ العظيم حقّا ،ينبع من المعرفة العظيمة بموضوع الحب ،فاذا لم تكن تعرفه فانك لن تملك الا أن تحبّه قليلا ،أولا تحبّه على الاطلاق".(٤) ويقول فرويد تعليقا على هذه العبارة : ان الحبّ عند دافنشي مقيّد بالمعرفة ، فقد كانت عواطفه محكومة بدافع البحث ،وخاضعة له ،فهو لم يكن يحبّ ولم يكن يكره . فقد تخلّص كلّ من الحبّ والكراهيّة من أغراضهما ، وتحوّلا الى نسق واحد ، الى مسألة عقلية(٥) .

---

(١) المرجع السابق ،ص ٧٧ .

(٢) المرجع نفسه ،ص ٧٨ .

(٣) المرجع نفسه ،ص ٧٩ .

(٤) ادموند وسولي ،المرجع السابق ،ص ٢٤٦ .

(٥) سيجموند فرويد ، التحليل النفسي والفن ، ص ص - ١٦ - ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : ما كتبه عنه بعض المؤرخين من أنّه كان يحيط نفسه بغلمان وشبّان وسام ، ومن اتهامه بعقد علاقات جنسيّة مع بعضهم ، يرى " فرويد " أنّه من الممكن أن يكون " دافنشي " قد قام مع هؤلاء الشبّان بجرائم شذوذ جنسيّ ، خاصّة أنه كان حسن الوجه والمظهر ، وكان على خلق غريب ، اذ كان كذّابا جشعا شرها غير أمين (١) .

ثالثا : بعض الملاحظات التي تؤكد أن " دافنشي " لم تدخل حياته امراة قط ، اللهم الا اسم أمّه ، ولم يتزوج ، ولم يكن له علاقة عاطفيّة ناضجة . يفسر " فرويد " ذلك بقوله : انّه كانت توجد لديه القدرة على توجيه جزء كبير من قواه الدافعة الجنسيّة نحو أنواع نشاطاته المهنيّة أو العمليّة . انّه تسامى بالدافع الجنسيّ الى أهداف أخرى ذات قيمة أسمى ، ليست ذات طبيعة جنسيّة ، فبعد أن استفاد من النشاط الطفلي في خدمة المتعة الجنسيّة ، أصبح قادرا على اعلاء الجزء الأكبر من " الليبيدو " الى الدافع للبحث أو المعرفة " (٢) .

---

(١) فرويد ، المرجع نفسه ، ص ١٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا : بعض الصور واللوحات التي تركها الفنّان مثل " الموناليزا " و " رؤوس النساء الضاحكات " ، والقدّيسة آن " . وكل هذه الصور تبدو منها ابتسامة فاتنة حائرة .

يذهب فرويد الى ان ابتسامة " موناليزا " لم تفتن كل ما نظر اليها وحسب ، بل فتنت صانعها ، " دافنشي " نفسه . ويعلّل سبب افتتانه بها ، أنّها ايقظت فيه شيئا كامنا في نفسه ، وهاجما زمنا طويلا كذكرى قديمة على أقصى احتمال . انّها ذكرى تعود به الى الفترات التي قضاها بين ذراعي أمّه الحبيبة(١) . وقد حاول "ليوناردو " أن يعيد خلق الابتسامة التي حرم منها .

ومن خلال دراسة " فرويد " لحياة "ليوناردو دافنشي " ، معتمدا على الوثائق التاريخيّة ، وعلى ما كتبه المؤرّخون ، وعلى بعض الصور التي تركها ، أجمل ما استطاع الوصول اليه على النحو التالي :

لقد ولد دافنشي لاب غير شرعي ، فحرم من التأثر بأب ، وترك لتدليل حنون . وقد أدخله تقبيل أمّه له قبل بلوغه الجنسيّ مرحلة من النشاط الجنسيّ الطفليّ ، الذى لم يظهر منه بصورة محدودة الا مظهر واحد فقط ، هو كثافة أبحاثه الجنسيّة الطفليّة . ولذلك فقد تنبه باعث البحث والفضول تنبها قويّا بفعل انطباعه منذ طفولته المبكرة ؛ واكتسبت منطقة الفم المثيرة اهميتها ، التي لم تزل أبدا . ونظرا لا يثاره المبكر للفضول الجنسيّ ، فانّ الجزء الاكبر من

---

(١) فرويد ، التحليل النفسيّ والفن ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاجاته الجنسيّة قد أمكن اعلاؤه الى تعطش عام للمعرفة. وهكذا أفلت من الكبت ، واتجه جزء ضئيل جدا من " الليبدو " الى الاغراض الجنسيّة التي اتجهت نتيجة الكبت الى الجنسيّة المثليّة والتعلق بالغلمان . وعندما فقد راعيه بدأت المصاعب في حياته واتسع التحوّل النكوصي اتساعا ضخما في ابعاد شخصيته أصبح يضيق بالفرشاة . وهنا خفق ماضي طفولته المسيطر عليه . ولما قابل المرأه - التي يصفها في بداية الخمسين - ايقظت فيه ذكرى ابتسامة أمّه الفاتنة السعيدة ، فاعتراه تحوّل جديد ، واصبحت طبقة عميقة من محتواه النفسيّ نشطة ثانية ، فاستعاد المنبّه الذى هداه في بداية مجهوداته الفنيّة حينما رسم المرأة المبتسمة . فرسم " موناليزا " ، و " القدّيسة آن " ، وعددا من الصور الغامضة التي كانت تتميز بابتسامة غامضة . (١)

واضح ما في هذا التحليل من انطاق للمسائل والقضايا بما لا تحتمل ، فكأن صاحبه بدأ " بنظرية " راسخة لديه ، لا سبيل الى دحضها ، ومهمته - فقط - أن يختار الوقائع ، وينتقي الدلائل التي تعزز تلك النظريّة أو تبررها . وهذا واضح في غير ما استنتاج ، وفي غير ما موقع . فمثلا ، تفسيره للحلم الذى أورده " دافنشي " ، تفسير لا يستند الى أى دليل علميّ أو منطقيّ. هذا فضلا عن أن " فرويد " حرّف في النص . فقد ذكر النص أن النسر أخذ يلمس

---

(١) بتصرف عن : فرويد ، التحليل النفسيّ والفن ، ص ص ٨٠ - ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بجناحيه على شفتي " دافنشي " مرّات عديدة(١) . فاستبدل " فرويد " الجناحين بالذيل لكي يستنتج دلالات شبقية تخدم نظريته . أمّا حديثه عن رغبة " دافنشي " في الطيران ، وتفسيره الذى يرى أن الطيران له جذوره الطفليّة الشبقية ، فهذا تفسير يرفضه المنطق ، وتأباه الوقائع . فليس هناك من علاقة بين الطيران والدافع الجنسي الا في " أحلام " فرويد " ، فقد تكون رغبة " دافنشي " في الطيران من باب الرغبة والهواية ، أو من باب المعرفة العلميّة ، ومما يدفعني الى ترجيح هذا الرأى ، قول ليوناردو نفسه : " هذا الذى يعرف كل شيء ، يمكنه أن يعطى كل شيء ، على الانسان ان يعرف ، وستكون له اجنحة يسبح بها في الفضاء."(٢)

أو ربّما أن هذه الجملة الاخيرة تحمل معنى بلاغيّا مفاده أن الذى يعرف يرتفع عن غيره من البشر ، ويسمو بتلك المعرفة . أو قد يكون متصلا بنواحي دينية ، كما يرى أحد الباحثين (٣).

أمّا تفسيره للجمل التي كتبها " دافنشي " لمّا وصله خبر وفاة أبيه ، فليس يوجد ما يدلّ على هذا التفسير ، فربّما كان وقع الخبر على " دافنشي " مذهلا ومرعبا فأرتج عليه . أليس دافنشي بشرا يتألم ويخطيء وينسى ؟ أولا يمكن أن يكون تكراره تلك الجملة عن قصد ووعي ، بسبب هول تلك الساعة التي تكتسب أهميتها بالنسبة له ؟ وهناك تناقض آخر وقع فيه فرويد في تفسيره الموقف الواحد تفسيرين مختلفين . فمرّة يفسّر اتجاه " دافنشي "

---

(١) أحمد أحمد يوسف ، ليوناردو دافنشي (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨) ، ص ٦٤ .

(٢) ادموند وسولي ، ليوناردو دافنشي ، ص ٢٠٤ .

(٣) انظر : أحمد أحمد يوسف ، ليوناردو دافنشي ، ص ص ١٢٧ - ١٣٠ .
وانظر كذلك : على عبد المعطي ، مشكلة الابداع الفني ، ص ٢٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى الفن بالتسامي ، ومرّة يؤكد علاقاته الجنسيّة الشاذّة مع شبّان وغلمان وسام! فنحن امّا أن نثبت التسامي وننفي عنه العلاقات الجنسيّة ، أو أن نثبت علاقاته الجنسيّة ، وننفي قضيّة التسامي . انني لا أجد لكل هذا التناقض الا اجابة واحدة ، وهي أن فرويد يسعى وراء هذه التفسيرات سعيا من أجل تبرير شيء في ذهنه ، ويعرفه قبل أن يبدأ بالدراسة . انّ منهج " فرويد " يبدو منهجا تبريريّا ، وليس منهج الفروض التي تغذيها التجربة ، أو تدحضها (١) .

هذه دراسة على المنهج الأول " الباثوغرافيا " ، أمّا على المنهج الثاني ، فقد تردد بين عطين هما : " الاخوة كارامازوف " لدوستويفسكي ، و " غراديفا " لفلهلم ينسن . ولأنّ " الاخوة كارامازوف " تناولها عدد من النقّاد بالتحليل والنقد غير " فرويد " ، فقد آثرت الثانية على الاولى . وسبب شان شجعني على اختيار هذه القصة هو قول ستانلي هايمن فيها : " ليس من كبير ريب في أن غراديفا قصة صغيرة هزيلة سخيفة ، تستأهل أن تكون مغمورة مهملة وأن " فرويد " في اعلائه منها ، وتحليله لها ، قد كتب بقلمه قصّة خيرا منها." (٢) فأحببت أن أرى ماذا نجد بعد دراسة هذه القصة . وسأحاول - أولا - تلخيص هذه القصة ، رغم معرفتي أن العمل الفنّي لا يلخّص ، ولا يختصر ، لانه بذلك يفقد قيمته ، ويفقد كثيرا من جاذبيّته ، ومتعته ، وفتنته . ولكن حسبي من هذا التلخيص انعاش ذاكرة قارئيها ، واحاطة من لم يقرأها بموضوعها .

---

(١) انظر : مصطفى سويف ، المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٢) ستانلي هايمن ، النقد الادبي ومدارسه الحديثة ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اكتشف عالم الآثار الشاب" نوربرت هانولد " تمثالا صغيرا في روما ، يمثّل فتاة في مقتبل العمر المتألق ، تمشي وقد رفعت قليلا ذيل ردائها الكثير الثنايا ، فظهرت قدماها في الخفّين : احدى القدمين مبسوطة أرضا ، والثانية على وشك الانطلاق ، فلا تمسّ الارض الا بطرف ابهام الرجل . فأطلق عليها اسم " غرادیفا " : أي تلك التي تتقدم . وتصور أنّها تنتمي الى أسرة نبيلة ، وهي تهم بدخول معبدها . لقد أخذ " هانولد " بسحر مشية تلك الفتاة . فسخر كل علمه لخدمة هذه التصورات التحليليّة ، ليصل الى النموذج الاصلي للمنحوتة . وشكّ أن " غرادیفا " لا مثيل لها في الواقع ، فامتلأ حسرة وغيظا . وحلم الشاب حلما مخيفا مقلقا مفاده أنّه انتقل الى " بومباي " القديمة في زمن ثوران بركان " الفيزوف " ، وشهد ثوارن المدينة . ولمح "غرادیفا" أمامه فاطلق صيحة تحذير لها . ولكنها لم تبال بشيء فتابعت طريقها الى بوّابة المعبد ، وجلست عند احدى الدرجات ، واسندت اليها رأسها بوداعة فيما راح وجهها يشحب أكثر فأكثر ، وتنأنّه استحال الى رخام أبيض . بعد استيقاظه ظل يساوره الايمان بواقعيّة حلمه ، فقرر السفر الى ايطاليا . دفعه القلق الى الاتجاه الى روما ونابولي ثم الى " بومباي " التي شهد نكبتها في الحلم دون أن يذكر ذلك . وفي ساعة الظهيرة ، اندفعت مخيلته تبعث الحياة في الماضي ، حين لمح " غرادیفا" المنحوتة تخرج من احد المنازل ، وتجتاز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشارع برشاقة . انّها صورة طبق الاصل عن تلك التي رآها في الحلم. ولكنّها سرعان ما اختفت أمام منزل ميلياغروس(١) . دلف الى المنزل ليفاجأ من جديد بالطيف جالسا على درجات واطئة ،بين عمودين من الاعمدة الصفر. وجّه اليها خطابه باليونانيّة فلم تجب. فتكلم باللاتينيّة فابتسمت "غراديفا" وقالت: "اذا كنت تريد مخاطبتي ،فعليك أن تتكلم بالالمانيّة"(٢)

رجاها أن تتخذ الوضع الذى كانت عليه اثناء الحلم حين كانت ممدّدة على درج المعبد ،ولكنّها هبّت واقفة وحدجته بنظرة باردة ،وتوارت عن ناظريه بين أعمدة الباحة. وفي اليوم التالي تراءى له الطيف فسألته عن سرّه وعرفت كل شيء من أمره ،وامر المنحوتة. وأخبرها أنّه اطلق على التمثال اسم "غراديفا" ، فأخبرته أن اسمها الحقيقي "زوية". وفي اليوم التالي دعته لمشاطرتها غداءها البسيط،وقالت له: "يخيّل اليّ أننا تقاسمنا على هذا النحو خبزنا نفسه نحو ألفي سنة ،أفلا تذكر ذلك ؟" (٣) ثم تبادلا الحديث ، فأفصحت له عن أنّها ابنة ريشارد برتغانغ" ، أستاذ علم الحيوان ،وهي جارة

---

(١) بطل من ابطال الاساطير الاغريقية ، من حاشية "الهذيان والاحلام في الفن" ترجمة جورج طرابيشي ،ص ١٨.

(٢) المرجع نفسه ،ص ١٨.

(٣) المرجع نفسه ،ص ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له ،كانت تلعب معه وهما صغيران ،وكانا يتبادلان الضربات واللطمات الخفيفة أحيانا . وتطلب منه " زوية " أن تفارقه ، فيرجوها أن تتقدم فتحسر قليلا طرف ثوبها بيدها اليسرى ، وتعبر الى الطرف الآخر من الشارع ،تطوّقها نظرات " هلخولد " الحالمة ،بمشيتها اللدنة الهادئة ،فوق بلاط الشارع تحت الشمس) .(١)

هذه هي أهم أحداث القصة ، فكيف ينظر اليها " فرويد " ؟

يرى فرويد أنّ الروائي أباح لنفسه حرّية التصرف على نحو مكنه من تقرير مفترضين بدئيين ،بيد و أنهما لا يتفقان تمام الاتفاق مع قوانين الواقع. فأوّلا : جعل عالم الآثار الشاب يكتشف منحوتة قديمة تشبه امرأة من عصر تال. وثانيها: جعل الروائي بطله يلتقي في "بومباى " تحديدا بالمرأة الحيّة . والروائي يطلق على حالة " هانولد " اسم الهذيان ، والهذيان -في رأى فرويد - ينتمي ، أولا ،الى تلك الفئة من الامراض التي لا تأثير مباشر لها على البدن ،ويتّسم ثانيا ،بكون الاستيهامات(٢) قد استقلت بنفسها وصارت صاحبة الامر والنهي ، وباتت توجّه سلوك الفرد (٣) .

---

(١) بتصرف عن : سيجموند فرويد ، الهذيان والاحلام في الفن ،ترجمة جورج طرابيشي(بيروت : دار الطليعة ،١٩٧٨) ،ص ص ٥ - ٤٥ .

(٢) يقصد بها فرويد التخيلات والتصورات التي عنت له اثناء رؤيته المنحوتة .

(٣) فرويد ،الهذيان والاحلام في الفن ،ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرحلة التي قام بها الى "بومباى" تشكّل نموذجا أمثل للفعل الذى ينجزه الانسان تحت سيطرة هذيان ما . انّ "هانولد" لم يكتمن يختلف في طفولته عن سائر الاطفال ، فثمة صلة صداقة حميمة كانت تربطه بفتاة صغيرة ما كان يفارقها ، بل كان يشاطرها طعامها ، ويتبادل وايّاها خفيف الضربات (١) فذكريات الطفولة استحضرت لديه ذكرى مشية صديقته القديمة "زوية" ولأنّ التصورات لا تكتسب الا لارتباطها بتفريغات عاطفية يفترض فيها ألا تتم ، فان المواطف والمشاعر الآيروسيّة (٢) هي المكبوتة لديه ، خاصة أن آيروسيّة لا تعرف سوى "زوية برتفانغ" ، التي طوتها يد النسيان . فجاء اكتشاف المنحوتة ليوقظ فيه الايروسيّة الغافيّة ويعيد الى ذكريات الطفولة نشاطها وفعاليتها (٣) .

وحتّى يفسّر كلّ هذه الرموز ، لجأ فرويد الى قاعدتين هما :

الأولى : أنّ الحلم يرتبط ارتباطا مباشرا بنشاط اليوم السابق له .

---

(١) فرويد ، الهذيان والاحلام في الفن ، ص ٥٢ .

(٢) المشاعر الأيروسيّة : ايروس Eros اله الحب عند الاغريق واعتبره اله الرغبة الجنسية ، استخدمه فرويد ليرمز الى قوة الحياة والغرائز الجنسيّة ، واستخدام فرويد للاسم استخدام مجازي شعري يستمد اصالته من ان ايروس كان يحب بيشه Psyche الفاتنة حباوالهما . انظر : عبد المنعم الحفني ، موسوعه علم النفس والتحليل النفسي ، ج ١ ، (مكتبه مدبولي ، ١٩٧٥) ص ٢٧٨ .

(٣) فرويد ، المرجع نفسه ، ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثانيه : حين يتعذر على صاحب الحلم أن يفلت من اسار الصور الحلميّة ، فاننا لا نستطيع أن نتحدّث عن وهم ، وانما المسألة مسألة فعل نفسيّ قائم بذاته ، مسألة وثوق بمضمون الحلم ، ووجود واقع مطابق للحلم ، و وثوق بأنّ الحالم محق في وثوقه هذا .

وعندما يطبق " فرويد " هاتين القاعدتين يقول : " هانولد " يعلمنا في الحلم أنّ التي يبحث عنها تقطن المدينة التي يقطن فيها . ولكن المدينة ليست المدينة الجامعيّة الالمانية ، وانما " بومباى " . وأنّ الزمن ليس هو الزمن الحاضر ، وانما سنة (٧٩) تسع وسبعين ميلاديّة ، فهذا ضرب من التحوير ، فما الداعي الى ذلك التنكير الذى من شأنه أن يخدعنا ؟ يجيب " فرويد " على نفسه قائلا : ان الاستيهامات والهذيان بدائل مشتقات للذكريات المكبوتة ، التي تتصدى لها مقاومة تحول دون مثولها للوعي ، فلا تبلغ هدفها الا مقابل تغييرات وتشوّهات تمليها عليها مقاومة الرقابة . وعلى هذا فنحن نرى في الحلم انتاجا مشوّها ، ينبغي أن نبحث فيما وراءه عن شيء آخر ، شيء لم يتعرض للتشويه . ويرى أن ما تبقى ذكراه بعد الاستيقاظ : أى المضمون الظاهر للحلم" ينبغي أن يميز عمّا كان يشكل اساسه قبل تشويهات الرقابة أى " فكرة الحلم الكامنة". بتأويل الحلم يتطلب ترجمة مضمونه الظاهر الى افكاره الكامنة ، وتجريده من الثوب التنكرى الذى اضطر الى ارتدائه مراعاة لمقاومة الرقابة " انّ الفتاة المحبّة بتلك المشية الرشيقة التي تبحث عنها تقطن في المدينة التي تقطن فيها أنت".(١)

---

(١) فرويد ، الهذيان والاحلام في الفن ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهنا لجأ الى تنكير جديد : " أنت تعيش في " بومباى" في زمن "غراديفا".(١) وهذه هي ،بالفعل الفكرة التي يحققها المضمون الظاهر للحلم والتي تتجلّى في شكل واقع حاضر يعيش فيه صاحب الحلم. فالحلم يرينا كيف تحولت " غراديفا " الماشية الى صورة من حجر . "فهانولد" ،كان قد حوّل اهتمامه من المرأة الحيّة الى الصورة الحجرية ،فاستحالت المعشوقة في نظره منحوتة . وأفكار الحلم اللاّشعوريّة ينبغي أن تحوّل هذه الصورة من جديد الى أمرأة حيّة . فكأن أفكاره اللاّشعوريّة تقول له انسجاما مع ما تقدّم : " انت لا تهتم بمنحوتة "غراديفا " الاّ لانّها تذكّرك "بزوية " الحيّة والراهنة ، التي تقطن هنا ".(٢) والرجوع الى علم الاحلام -على رأى " فرويد " - فانّ حلم " هانولد " هو من أحلام الحصر النفسي(٣) . الذى يساوره أثناء نومه . ولهذا لا بدّ من استبدال الحصر بالاثارة الجنسيّة عند تأويلنا الاحلام ، ويلخص كلّ ما ذهب اليه بقوله:(٤) .

" انّ حنين الحبّ استيقظ لدى النائم ،وأخذ شكل اندفاعة قويّة ترمي الى بعث ذكرى الحبيبة على مستوى الوعي ،والى انتشال النائم من هذيانه . غير أن هذا الحنين حرّف من جديد عن وجهته ،وتحوّل الى حصر أدخل بدوره على مضمون الحب صورا مرعبة ،فانقلب جوهر الحلم اللاّشعورى : أى حنين الحبّ الى " زوية " ،التي عرفها فيما غبر من الايّام ،الى المضمون الظاهر التالي ،وهو : انطمار "بومباى " وهلاك "غراديفا".

---

(١) المرجع السابق ص ٦٧.

(٢) المرجع نفسه ،ص ٦٨.

(٣) الحصر Anxiety : انفعال ينجم عن الخوف ،ولكنه خوف مما يمكن أن يقع أو مما كان قد وقع، اكثر منه خوف من اوضاع مخيفة واضحة ،وهو مشيروقوى . انظر: عبد المنعم الحفني موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ،ج ١ ،ص٥٨.

(٤) بتصرف عن : فرويد ،الهذيان والاحلام في الفن ،ص ص ٧٠ - ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما يلتقي "هانولد" الأول مرة بتلك التي يفترض أنها "غراديفا" فيذكر حلمه ، ويتوسل الى الطيف بأن يتمدد ، ويأخذ الوضعية التي رآه فيها سابقا . اذ ذاك تهب السيّدة الشابة غاضبة ، وتفارق شريكها غريب الاطوار ، الذى استشفت من كلماته الهاذية الرغبة الآبوسية المحوّل اتجاهها . وبهذا برىء من هذيانه بفضل اكتشافه للمكبوت الذى كان يختفي وراء أفكاره ."

على هذا النحو يبدو تحليل "فرويد" قصة "غراديفا" وهذا النموذج من التحليل أقرب الى منطق التحليل النفسي من النموذج الأول وأشيع. ونستطيع أن نقبله على أنه تطبيق لوجهة نظر "فرويد" فيما جاء به من نظريات. وقيمة هذا التحليل تكمن في أنه يضيء جوانب كثيرة من حياة الفنّان ويهيىء للناقد الأدبيّ - بعد اطلاعه على هذه الحقائق - أن يكون أكثر ابداعا ، وقدرة على تحليل النص تحليلا أدبيا من جميع جوانبه . فهذا التحليل يفيد في عالم التذوق والوصول الى الحقائق الجماليّة ، ولكنه ليس التحليل الأول والاخير .

يقول عبد الرؤوف البرجاوي : "حتى اتضحت الصورة النفسيّة ، وحصل التكامل بين العالم النفسيّ والعالم الجماليّ ، نجم عن ذلك تكشف رفيع لآليات الفنانين ، اذ الاستمتاع بالآثار الفنيّة لا يكمل الا اذ فهمنا حقيقة شخصية الفنان ، وعشنا معه في تطوره ، وزاملنا خياله واحلامه من خلال انتاجه ."(١)

فمثل هذا التحليل يترك مجالا أمام أحكام أخرى جمالية تقييمية. صحيح أن "فرويد" يتمتع بنفس أدبي طويل في العرض ويبدو من خلال تحليله تمكنه من الادب ، وفهمه العميق له ، ولكنه في حقيقة الامر اكتفى بتفسير المعنى

---

(١) فصول في علم الجمال ، ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السيكولوجي والحلمي ،بتحليل تقنياته الرمزيّة في الخلط الكلامي ، والخلط الزماني(١) ولم يستطع هذا التحليل ان يقدم لنا حكما جماليّا ، ولم يقدم شهادة تكشف عن عبقريّة هذا النص أو تفاهته . لم يقل لنا انّ هذا النص الجميل وما سبب جماله ، أو أنه ردىء وما سبب رداءته ، انّ دور "فويد" هنا دور أداة ، وان احكامه هنا أحكام جزئيّة تترك المجال أمام أحكام جماليّة(٢) .

والآن نريد أن نرى كيف استفاد رجال البحث الادبي من علم النفس. فبعد أن اكتملت "الفلسفة الفرويديّة" انقلب الوضع تماما ، فوجدنا الادباء والنقاد والفنانين يعودون الى تلك الفلسفة ، يستمدون منها تفسيرات وتعليلات تمينهم على فهم النصوص الادبيّة التي يتناولونها بالتحليل ، كما توسع لهم الآفاق في دراسة بعض الفنانين . حتى ان بعضهم كانوا "يستعيرون من هذه الفلسفة أثوابا يريدون أن يلبسوها لما يصورونه في قصصهم أو مسرحياتهم من شخصيّات ، حتى لو تمزقت تلك الاثواب أو نافرت عن الشخصيات ، ورفضت أن تلائمها"(٣) .

ويبدو لي أنّ لجوء رجال البحث الادبي الى علم النفس كان أمرا طبيعيا عاديّا . فما داموا قد وجدوا انفسهم أمام ثروة من المعلومات ، ونتائج من الدرس ، وميادين مشتركة من الاهتمام ، فلم لا يغيرون على حدود علم النفس ،

---

(١) الخلط Confusion اختلاط الافكار دون رابط منطقي بينها ،بحيث أن النتائج التي يتوصل اليها المصاب لا تنتج عن مقدماته .

انظر: فاخر عاقل ، موسوعة علم النفس ،ص ٤٢ .

والمعنى المقصود هنا قد اصابه الخلط في كلامه الذى حلم به ، وفي تحديد الزمان ،فهو ليس الزمن الحاضر ،وانما سنة تسع وسبعين ميلاديّة .

(٢) انظر: كارلوني وفيللو ،تطور النقد الادبي في العصر الحديث ،ص ١١٧ .

(٣) محمد مندور ، الادب ومذاهبه ،ص ١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما اغار علماء النفس على حدود الادب(١) ولقد بدا اثر كتابات "فرويـــــد" ودراساته - سواء النظريّة منها أو التطبيقيّة - كبيرا في الادباء والباحثيـــن والكتاب ، خاصّة كتاب القصة القصيرة ، "حتى صارت القصّة اشبه بالتقريـــــر النفسي" منها بالعمل الفني "(٢). ولست أريد ان يفهم من كلامي أن كـــل الادباء لم يبدعوا في هذا المجال ، فهناك كتاب وأدباء أخرون كانوا قد اعتمدوا التحليل النفسيّ في كتاباتهم ، فابدعوا وأجادوا في ذلك . ولعلّ من أبرز هؤلاء الناقد الامريكي "فريدريك كلارك بروسكوت" ، الذى طبق وجهة نظر "فرويـــد" في تطويره المقارنة بين الشعر والاحلام ، معتمدا على ملاحظة التكثيـــف(٣) في مقال له بعنوان (الشعر والاحلام) سنة ١٩١٢م ، وقال بروسكوت: ان لغة الشعر تظهر التكثيف أيضا(٤). وحاول أن يؤكد كثيرا من آراء "فرويـــــد"، وأن يوثقها بالاقتباسات من الادباء على مر العصور . وأكدّ بروسكوت في هـــذا المقال أن الشعر كالحلم : بمعنى أنّه تحقيق مقنع لرغبات مكبوتة .

وفي سنة (١٩٢٢م) ، أصدر "بروسكوت" كتابا آخر بعنوان (العقلية الشعريّة) ، وهو أيضا تطبيق لوجهة نظر "فرويد" على الادب . ويعتبـــر هذا الكتاب من أفضل الدراسات في هذا المجال ، بوصفه "معالجة أوفى التفت فيه الـــى بعض الامور القيمّة" ، ومنها الارهاص بمبدأ الغموض الذى عالجـــه

---

(١) انظر: محمد خلف الله أحمد ، من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده ، ص ٢٨ .

(٢) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، ص ٢٣ .

(٣) فكرة التكثيف تعنى أن عددا من الشخصيات والكلمات أو الاشياء كثيرا ما تتداخل وتتقارب اشتاتها في الاحلام .

(٤) انظر: وليم فان اوكونور، النقد الادبي ، ص ١٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمبسون(١) William Emposon والنص على تكثير المعنى(!) كذلك فقد قام بتطبيق مبادىء علم النفس على الشعر والقصة النثريّة . الا ان أحد النقّاد يقول : "ان النقاد الذين اعتمدوا علم النفس ،لم يقتفوا أثر البدايات الطيبّة ،التي سبقهم اليها "بروسكوت "في استخدامه الدقيق لنظريات " فرويد "(٢)

ومن النقّاد الذين أفادوا من تطبيقات علم النفس على الادب ،الناقد الانجليزى "هربرت ريد" فقد قدم عدة دراسات منها : دراسته للاختين شارلوت و"اميلي برونتة" ورأى أن فن الاختين يعود الى هواجسهما ، وأوهامهما بسبب حنينهما الى أمهما المفقودة ،وتعلقهما بالادب ، فقد توفيت أمهما في سن باكرة ، فأحدث ذلك هزة عصبية كان لها اثرها في حياة الاختين ، وفي معرض حديثه عن "اميلي "رأى فيها مثالا للظاهرة السيكولوجية المعروفة "التشبّه بالذكور" أو التوجل " ،حتى ان القرويين كانوا يرون فيها ولدا اكثر مما يرون بنتا.(٣)

وعلى الرغم من كثرة كتابات "ريد "ودراساته في هذا المجال ، الا انه نص على الانتقائية والاعتدال ،وبيّن محدودية التحليل النفسيّ وأخطاره ، مثلما يبين امكانياته الهائلة (٤).

---

(١) ناقد انجليزى من جماعة النقد التحليلي ، امتاز بالتحليل المكثف للنص الفني ،

انظر: وليم فان أوكونور ،المرجع السابق ،ص ٢٣٢ ؛

(٢) وليم فان أوكونور ،المرجع نفسه ،ص٢٠٠ ؛

(٣) محمد خلف الله أحمد ، المصدر السابق ،ص ص ٣١ - ٣٢ .

(٤) انظر : ستانلي هايمن ،المرجع السابق ،ص ٢٧٢ ؛

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن النقاد العصريين الذين أفادوا من علم النفس التحليليّ عز الدين اسماعيل[١] . فقد قدم في كتابه "التفسير النفسي للادب" نماذج تطبيقية من التحليل على اساس المنهج النفسيّ . فعرض نماذج من الشعر القديم والحديث ، ودرس مسرحية "هملت" لشكسبير ، فرد تواني "هملت" عن أخذ الثأر لأبيه الى رغباته المحرمّة التي سبق أن كبتت منذ الطفولة في لا شعوره ، ثم أتيح لها العودة الى نشاطها نتيجة موت أبيه ، وفي محاولة "هملت" المهذب العاقل كبت تلك الرغبة ، احتاج نشاطا عقليّا زائدا سبب له الصراع ، وجعله يتوانى في تحقيق هدفه ، وهو قتل عمه الملك قاتل أبيه . وهذا التفسير يؤكّد ان الشيء المكبوت في لا شعور "هملت" هو "عقدة اوديب" .

وقد قام عز الدين اسماعيل بدراسة نماذج مسرحية وروائية أخرى في ضوء المنهج النفسي ، سنقف عند بعضها فيما بعد .

وهناك دراسات عديدة - قد لا يتسع المجال لذكرها فقط - قام بها نقاد غربيون[٢] وعرب ، تعتبر تطبيقا لمنهج التحليل النفسيّ على الادب ، فكيف بالوقوف عندها .

---

(١) التفسير النفسيّ للادب ، ص ص ٨٩ - ٢٥٩ .

(٢) من دراسات النقاد الغربيين نذكر على سبيل المثال :

أ . دراسة - دى باسلر الامريكي ، "الجنس والسيكولوجيا ، والادب" ١٩٤٨م .

ب . دراسات الانجليزى روبرت غريفز ، في الشعر الانجليزى" ، ١٩٢٢م . ومعنى الاحلام" ، ١٩٢٤م . و "اللاعقلانية في الشعر" ، ١٩٢٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعلنا بهذا نكون قد قدمنا صورة نظرية وتطبيقيّة على التقاء الادب بعلم النفس ، ورأينا أن هذا الاتصال وذلك الاحتكاك بينهما يتحقق على أيدى كل من علماء النفس والنقّاد الباحثين والفنانين ، ولكن يبقى لنا وجهة نظر في هذة العلاقة يجب أن تقدمها .

اننا نرى أن المبالغة في تصوير فائدة علم النفس - سواء منه علم النفس العام ، أو علم النفس التحليلي - للادب قد تشوه الصورة وتعطي مردودا عكسيا تماما . فالفائدة التي يحققها الاديب يمكن أن تكون في مجال الخلق الادبي . فقد تتكشف للاديب عوالم كانت محجوبة الى حد ما عن ذهنه ، فيزداد معرفة بالنماذج الانسانية ، ويصبح أكثر قدرة على وصف الخلجات والبواعث (١) . ولعل هذا ما دفع أحد النقّاد ليؤكّد على أن ما وصل اليه علم النفس من رقي حتى الآن لا يزال عاجزا عن ان يعطينا احكاما دقيقة ثابتة فيما يتعلّق بالعمل الفنيّ . ولكنّ علم النفس يسعى دائما للكشف عن خفايا نفس الفنّان ، وانكار هذا على علم النفس معناه انكار هذا العلم برمّته . انّ العمل الادبي انما بني على أساس المعرفة السيكولوجية النظرية ، ولم يكن صانعه يتمتع بخيال أدبي ، وتمكنا من أدواته الفنيّة ، ولم يكن لديه قوة حدس أدبي (٢) ، فانك لن تجد في ذلك النص حياة ، بل أى معنى للحياة.

---

(١) محمود السّمرة ، في النقد الادبي ، ص ٨١ .

(٢) نظر كروتشه (١٨٦٦ - ١٩٥٣م) الى الفن بوصفه تعبيرا عن الخيال ووصفه حدسا أومشاهدة عقلية للعلاقات الشكلية القائمة بين موضوعات الواقع وظواهره : أى ان الفن لا يمثّل انعكاس هذا الواقع على عقل الفنّان ومشاعره بقدر ما يمثل انعكاس خيال الفنان وبصيرته على الواقع ، ولست الى هذا أذهب ، وانما أردت بقوة الحدس : الادراك الفورى المباشر والخيال الواسع الذى يسير جنبا الى جنب مع المعرفة العلميّة سواء أكانت علم نفس ام غير ذلك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أن صاحبه يفتقر الى معايشة النص معايشة داخليّة . ومثل هذة الاعمال لا تحتاج الى تفسير ، فهي تفسر نفسها بنفسها . وهذا واضح في الجزء الأول من رواية " فاوست " لجيته (١) وحين يصبح الاثر الادبي موضحا لنتائج علم النفس ، أو شارحا لها ، أو مؤيدا ، أو ناطقا ببعض مفاهيمه ، فهذا مما لا يعود بجدوى على الادب ، مثلما أنه لن يعود بجدوى على علم النفس. وعندما يفعل الاديب ذلك ، يكون مثله مثل بروكوست ، الذى كان يبتر أرجل ضحاياه ، أو يمط أجسامهم حتى ينطبقوا على سريره ، لا يزيدون ولا ينقصون (٢) .

إن الفن الاصيل لا يمكن أن يكون اعادة صياغة لحقائق أو نظريّات عامة ، بل هو اكتشاف لهذه الحقائق . فالخبرات التي يحصّلها الفنان من علم النفس ، أو من غيره من العلوم ، لا يمكن أن تصبح ملكا له الا بعد أن يتمثلها ، وبعد أن تمتزج بخبراته الشخصيّة فتنصهر معها ، وبالتالي تصبح جزءا لا يتجزأ من خبراته ، حتى اذا ما انتج عملا فنيّا ، صدر في ذلك من تجربته الخاصّة ، لا من مقررات هذا العلم أو ذاك (٣) وكما يقول لانسون على لسان فريدرك رو Frederic Rauh " ان الشيء الذى يجب أن نأخذه عن العلم ليس هذة الوسيلة أو تلك " ، (. . . .) بل روحه " (٤) . وهذا يعني ببساطة

---

(١) انظر : يونج ، علم النفس والادب " ، ترجمة سمير كرم ، مجلة الآداب ، السنة العاشرة ، ١٩٦٢م ، ص ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) سامي الدروبي ، علم النفس والادب ، ص ١٢٩ .

(٣) انظر : عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي " ، ص ٢٤ .

(٤) لانسون ومايية ، منهج البحث في الادب واللغة ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أننا أذا أردنا للعلم أن يكون مصدر الهام للفن ، فان على ذلك العلم أن ينتقل من أفق الفكر المجرد ، الى عالم الخيال واللاشعور والعاطفة(١) ولن يستطيع ذلك الا الفنان الاصيل الذي يتميّز بنفاذ بصره في الطبيعة الانسانيّة .

هذا فيما يتعلق بالاديب ، أما فيما يتعلق بالناقد فلا شك أنّه يحقق الفائدة العظمى من نتائج علم النفس وخاصّة التحليلي منه . ولكن الى أيّ مدى يمكن أن يحقق الناقد تلك الفائدة ؟ هذا ماسيكون موضوع حديثنا في الفصل الثاني .

---

(١) جان ماري جويو ، مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، ص ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علم النفس والنقد الادبي في مصر

انتهينا في (الفصل الاول) من هذه الدراسة الى ان إفادة النقاد من علم النفس يمكن ان تكون اكبر بكثير من افادة الادباء ، ذلك ان بأمكان الاوائل ان يستغلوا هذه المعارف الحديثة في توضيح العمل الادبي وتفسيره .
وقلنا : ان الدراسات النفسية الحديثة فتحت الآفاق امام النقاد ، لاستغلال طرائق منهجية في البحث ، حتى صار بمقدورهم ان يستمدوا من الاثر الادبي استنتاجات حول نفسية صاحبه ، وحالته الذهنية ، ليفسروا على ضوء تلك الاستنتاجات ذلك الاثر الادبي . ونضيف الان الى ما سبق قوله ، انه صار بمقدور الناقد ان يأخذ سيرة الاديب - بما يتوافر لديه من وثائق ورسائل ونصوص كتبها - ويكون من خلال دراستها نظرية في شخصية الاديب .(١)

وعلى الرغم من ان الدراسة النفسية للاثار الادبية ليست جديدة كل الجدة على النقد الادبي في مصر : اذ كانت هناك دراسات تدخل المعارف النفسية العامة على اساس من الذوق - لا بطريقة منهجية * الا ان مثل هذه الدراسات لا تهمنا في هذا البحث ، الا من حيث العرض والتأريخ . اننا معنيون هنا بالدراسات النقدية التي استخدمت النظريات والمفاهيم التي توصل اليها علماء التحليل النفسي الذين تحدثنا عنهم . ان الدراسات التي نبحث عنها هي الدراسات المنهجية التي قامت على اساس من علم النفس ، واستندت الى علم النفس التحليلي في معالجة الادب والفن ، والنظر في الاثار الادبية ، لزيادة فهمنا بها ، وتعمقنا في معرفتها ، واستكشاف اسرارها .

---

١) انظر : ديفيد ديتشس ، المرجع السابق ، ص ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .
*) من هذه الدراسات - على سبيل المثال - دراسة طه حسين للمتنبي ، ودراسة المازني لابن الرومي في كتابه " حصاد الهشيم " ، وغيرهما مما سنرى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبل ان نبدأ بالتأريخ لدخول المنهج النفسي ميدان النقد الادبي ، وما رافق مجيئه من اعتراض ورفض ، وما لقي اصحابه من نقد ، يحسن ان نتحدث عن القضية من أساسها . فلم تكن المشكلة قبول علم النفس فحسب ، بل تعدت ذلك الى قبول او رفض دخول العلم ميدان النقد الادبي . فعلى حين نادى عدد من النقاد المصريين المعاصرين بالاستفادة من كل العلوم في سبيل توسيع آفاق الناقد، وجدنا في المقابل من يرفض هذا الاتجاه ، ويدعو الى تنحية العلم عن الادب والنقد . وبين هذين الموقفين وجدنا من يقف موقفا وسطا يجمع بين موضوعية العلم وذاتية الفن . وسنقف عند هؤلاء جميعا ونرى وجهات النظر المختلفة .

النقـد الادبي بين العلم والفـن :

لما بدأ العلم - في القرن التاسع عشر - يتقدم بخطى حثيثة ، واخذت تظهر نتائجه الباهرة في كل مجال ، وبدأ يغزو الاوساط الادبية ، واخذت تلك الاوساط تستفيد من تطبيقاته ، كان لا بد من وضع ما يسمى بمناهج البحث العلمي للنقد الادبي .(١) في هذه الفترة بزغ سؤال اخذ يشغل اذهان النقاد وباحثي الادب هو :

هل من الممكن وضع علم للنقد الادبي ؟

وقد انقسم النقاد والباحثون في الاجابة عن هذا السؤال : ففريق يرى ان بالامكان ذلك ، وفريق يرفض هذا الرأى ، وثالث يتوسط بين الفريقين .

وكان من آراء المعترضين على وضع قواعد للنقد الادبي ، ان ثمة فرقا بين طبيعة العلم ومقاييسه ، وبين ما يشاهد في النقد الادبي . فالعلم له حقائقه الحسابية والمنطقية المقررة المحدودة . فاذا ما وافقتها الشواهد التطبيقية كانت صوابا ، والا كانت خطأ . اما النقد الادبي فأنه فن يقوم على ذوق الناقد وحسه ، والذوق يختلف باختلاف الافراد وأمزجتهم وثقافاتهم . (٢)

---

١) سامي الدروبي ، علم النفس والادب ، ص ٥ .

٢) أحمد الشايب ، أصول النقد الادبي (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠م) ، ص ١٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن علماء النقد أجابوا عن هذا الاعتراض بأنهم يسلمون باختلاف الاذواق الفردية وبتفاوتها ، تبعا لمقاييس الجمال التي يعرفها الفلاسفة ، ويرتبون الاذواق بمقتضاها . ولكنهم يرون ان ذلك لا يمنع من ان ننتفع به في النقد الادبي ، ونتبين ان نصوصا خاصة تلائم الشعب الراقي المهذب لصفات لفظية ومعنوية فيها ، وان قطعا اخرى توافق أمة لصلات خيالية أو موضوعية بينهما (١) وعلى هذا الاساس قرروا أننا نستطيع ان ندرس الذوق ونضع له مقاييس تضبطه رقيا وانحطاطا . وهذه المقاييس تصبح قوانين علمية تفيد في علم النقد الادبي (٢) .

غير أن اعتراضا آخر - ربما كان اهم من سابقه - يراه المعترضون على وضع قواعد للنقد الادبي ، وهو ان اختلاف الاذواق ليس مقصورا على الجماهير أو متوسطي الثقافة ، وإنما يجاوز ذلك الى النقاد الممتازين . فهؤلاء تختلف أذواقهم ، فتختلف لذلك أحكامهم على الآثار الادبية . وهذا الاختلاف في الذوق بين الاكفاء من النقاد يجعل من المستحيل وضع قواعد علمية للنقد الادبي .

وردا على هذا الاعتراض ، يسلم علماء النقد بوجود الاختلاف بين النقاد الممتازين ، ولكنهم يرون أن وجوه الخلاف الذوقي بين الشعوب المختلفة والعصور المتعاقبة ، والنقاد النابهين ، اقل كثيرا من وجوه الاتفاق . وأننا إذا لم نسلم بذلك فإننا ننفي وجود الادب الخالد . ويمكنك أن تلاحظ ذلك في اجماع الشعوب على عظمة هومير وشكسبير ، وعلى اقرار الناس بعظمة المتنبي ، وجمال شعر البحتري ، وبراعة الجاحظ ، مهما اختلفت بهم العصور والبيئات ، فثمة طابع انساني عام تخضع له جميع الاذواق ، يصح ان يكون مقياسا وقانونا من قوانين النقد الادبي (٣) .

---

١) أحمد الشايب ، أصول النقد الادبي ، ص ١٥٨ .

٢) انظر : احمد الشايب ، المرجع نفسه ، ص ١٥٩ .

٣) انظر : ماهر حسن فهمي ، المذاهب النقدية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢م) ، ص ص ١٣٧ - ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك اعتراض يقوم على طبيعة الادب نفسه ، ومفاده ان فنون الادب كثيرة وميدانه واسع : من شعر ، وكتابة ، وخطابة ، ورسالة ، ومقامة ، ورواية . وهناك اساليب مختلفة من الكتابة ، فكيف يمكن جمع هذه الخواص في قوانين ؟ وأجيب على هذا الاعتراض بأن هذه الانواع الادبية الكثيرة ، والخواطر التي لا تنتهي ، لها أصول عامة ثابتة يمكن حصرها وتنسيقها وادخالها تحت مقاييس عامة أيضا . فهذه الكثرة النوعية لا تجعل من علم النقد مستحيلا ، وان كانت تشير الى صعوبته ، والى وجوب مرونة قواعده (١)

ولعل ما تمخضت عنه هذه الآراء من نتائج تقود الى ان النقد الادبي يقف موقفا وسطا بين العلم والفن بمعناهما الدقيق ، أو هو فن منظم . فالنقد يقوم على الذوق الذى هذبته المعرفة ، لان بين الفن - الذى يعتمد على العاطفة - وبين العلم - الذى يعتمد على التجارب المعملية والاختبار والفرض والقانون - درجات (٢) .

غير ان هذه الاعتراضات وتلك الردود لم تنه الخلاف بين اصحاب الذوق وعلماء النقد . فعندما حاول بعض النقاد المصريين المعاصرين الاستفادة من علم النفس في ميدان النقد الادبي ، وجدنا من يقف ضد هذه الفكرة ، فشهدنا بين مؤيد لها ومعارض لها خلافا حادا وجدلا مستفيضا .

---

١) انظر : احمد الشايب ، المرجع السابق ، ص ص ١٦٢ - ١٦٤ .
٢) ماهر حسن فهمي ، المذاهب النقدية ، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موقف النقاد في مصر من علم النفس :

كان في مقدمة الداعين الى ادخال علم النفس ميدان النقد الأدبي ، محمد خلف الله أحمد ، وأمين الخولي ، ومحمد النويهي . وكان ممن يعارضون هذه الفكرة محمد مندور . ولنبدأ بمحمد خلف الله أحمد ثم نعرّج على الآراء المختلفة في هذا المجال .

(١) دعا محمد خلف الله[١] الى منهج نقدي يقوم على الاتصال الوثيق بالدراسات الانسانية ، وبخاصة علم النفس . فهو يرى أن خير زاد يتزوده دارس الادب وناقده بعد الثقافة المتعمقة في الادب ، نصه ونثره وقصصه ، التفقّه في الفروع التي عرفها الاقدمون باسم علوم الادب - قدر صالح من دراسات علم الجمال : نظرية وتجريبية ، وقدر من الثقافة الفنية التي يشترك فيها الأديب والمصوّر والموسيقي والممثال . هذا - باختصار - هو لباب المنهج الذي دعا اليه خلف الله . فماذا كان موقف محمد مندور ؟

(٢) يقف محمد مندور موقف الرافض لهذا المنهج ، ويرى أن اقحام هذه العلوم وغيرها في الادب إنما هو قتل للادب واضلال للمتأدبين . ويكتب محمد مندور مقالا رداً على ما دعا اليه خلف الله ، فيقول : "إن مذهب خلف الله ومن يرى رأيه سينتهي بنا الى قتل الادب فالأدب لا يمكن أن تجدده ونوجهه إلا بعناصره الداخلية ، عناصره الادبية البحتة ، وهذا ما يجب علينا جميعا أن نجاهد في سبيله"[٢] ويتساءل مندور فيما إذا كان هناك مجال لجعل النقد علما ، وذلك باستعانتنا بعلوم النفس والجمال والاجتماع؟ ولكنه يجيب بالنفي ، لأن النقد - كما يرى مندور هو فن دراسة النصوص وتمييز الاساليب وهذا الفن يستعين

---

(١) محمد خلف الله أحمد ، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب و نقده ، ص ١٦٩

(٢) محمد مندور ، في الميزان الجديد (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤م) ، ص ١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بضروب من المعارف ، ولكنه لا يستخدمها ليحاول أن يضع بفضلها قوانين عامة للادب ثم يطبّق تلك القوانين على النص الذي أمامه ، فما تمشّى معها كان جيّدا ، وما خرج عنها كان رديئا .(١) ويرى مندور أن المعرفة اللازمة للناقد ليست معرفة نظريّة ، بل معرفة لغويّة وفنيّة تكتسب بالدربة وبدراسة علوم اللغة ، لا بدراسة المنطق والسيكولوجيا والجمال وما اليها (٢)

(٣) وهنا يهب محمد النويهي ليرد على مندور في كتابه " ثقافة الناقد الادبي " فيحدّد المعارف التي يجب على الناقد أن يتزوّد بها . ويبدو أن القضيّة أصبحت عامة تهم حركة نقدية بكاملها ، وليست مقتصرة على رأى هذا الناقد أو ذاك ، وانما اصبح معظم النقاد المصريين اطرافا في الحديث حول هذه القضيـــــة . ويرى النويهي أن مندور يخلط بين أناس يسيئون استعمال حقائق العلم ، وبين فائدة هذه الحقائق نفسها ، إذا احسن استعمالها وفهمها ، فيقول : " حجة مندور هذه كحجة رجل يرفض أن يثقف نفسه بالآداب الغربية ، فإذا قيل لـــه لم ؟ قال : ألا ترى هؤلاء النقاد المحدثين الذين اتهموا مقاييس النقـــد الأدبي على أدب طبيعته مخالفة تماما "(٣) ويتساءل النويهي قائلا(٤) : كيـــف يستطيع الدكتور مندور ان ينكر أن علم النفس الحديث قد أكسبنا فهما عظيمـــا بالنفس البشرية على شدّة استقلالها وعظم تعدّدها ، بل هو هو الذي بين لنـــا صور هذا التعدد ، فزاد من فهمنا بها .

---

١) محمد مندور ، في الميزان الجديد ، ص ١٣٢

٢) محمد مندور ، المصدر نفسـه ، ص ١٣٨

٣) محمد النويهي ، ثقافة الناقد الأدبي (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩م) ، ص ٣٨٤

٤) المصدر نفسه ، المكان نفسـه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويواصل النويهي رده على مندور ، فينقل كلامه الذي رد به على خلف الله ، ثم يتساءل : " كيف يطالبنا الدكتور مندور - الدكتور مندور ، ليس احد آخر - بان نركز نظرنا في الادب كفن لغوي ؟ كيف يقول هذا رجل الف في امر اتصال الادب بالحياة ؟ وكيف نفهم الادب كفن لغوي ان لم نفهم الحياة ؟ وكيف نفهم هذه ان لم ندرسها بالدراسات المختلفة التي نتناولها ؟ وماذا تكون النتيجة اذا ركزنا نظرنا في الادب كفن لغوي ، سوى العقم والتصنع والبعد عن الحياة وعن الطبيعة وعن الصدق[1] " . وهكذا يمضي النويهي في تساؤلاته الاستنكارية ، التي لا ينتظر لها جوابا ، لانه يعرفه مسبقا . ويبدو واضحا من خلال آراء النويهي وتساؤلاته ، ايمانه بقيمة العلم في النقد الادبي ، وبأهميته القصوى في رفد ثقافة الناقد . فالنويهي لا يجد مندوحة عن الاخذ بكل العلوم والمعارف وربما يبدو من اكثر النقاد ايمانا باهمية العلم للنقد الادبي . ولا غرو في ذلك ، فقد حصل النويهي ثقافة علمية غربية بديعة ، وعاد راسخ القدم متمكنا من تلك الثقافات التي حصلها[2] .

ولم يقف النقاش عند هذا الحد وحسب ، بل لقد تصدى مندور - مرة اخرى - للرد على النويهي ، فكتب يقول : " ومما يجدر بالذكر اننا حاربنا فكرة اقحام النظريات العلمية والفلسفية في الادب ودراسته حربا شديدة ، واذا بنا نطالع " ثقافة الناقد الادبي " للدكتور النويهي ردا على هذه الحرب ، ودعوة الى تطبيق نظريات العلم والفلسفة على الادب . ثم جاء كتاب النويهي عن ابي نواس فاصلا في هذه الخصومة ، اذ رأيناه يطبق " الفرويدية " على شعر ابي نواس فيفسده ويفسد جماله[3] " .

---

١) محمد النويهي ، ثقافة الناقد الادبي ، ص ٣٩٠

٢) انظر : احمد كمال زكي ، المرجع السابق ، ص ٢٦٤

٣) محمد مندور ، الادب ومذاهبه (القاهرة : دار نهضة مصر ، د . ت) ، ص ١٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحاول مندور أن يبرر وجهة نظره ، التي طالب فيها بعدم حشر المذاهب الفلسفية في النقد الادبي ، فيقول :

" إننا لم ندع الى الجهل ، ولا الى اهمال الادباء للمذاهب العلمية والفلسفية ، بل على العكس دعونا - ولا نزال ندعو - الى ثقافة الاديب المنوعة ، ولكن على ألا يقحم الاديب هذه النظريات على الادب اقحاما ، حتى لا يفسد الادب ، وحتى يظل بصدقه ودقة تسجيله للحياة مرجعا للفلاسفة والعلماء الباحثين عن حقائق الحياة ."(١)

وينتقل مندور(٢) للحديث عن النقاد المصريين المعاصرين ، فينعى على بعضهم تأثرهم بالدراسات الفرويدية ، ويخص بالذكر دراسة العقاد "أبو نواس" ، ودراسة النويهي "نفسية أبي نواس". وهكذا اتسع نطاق الحوار ليضم نقادا آخرين غير النويهي وخلف الله ومندور . فبدأ كل ناقد يدلي بدلوه في هذا الامر . فقد تحدث طه حسين عن دراستي " النويهي " ، "والعقاد" ، وتساءل متهكما :

" ماذا كان يصنع أبو نواس لو أتيح له أن ينشر بعد موته ، ويسمع ما يروى عنه ، وما يحمل عليه ، وما يكتب فيه ؟ "(٣)

ويجيب على نفسه قائلا :

" لا شك أن الحساب سيكون بينه وبين النويهي حسابا عسيرا ."(٤)

---

١) محمد مندور ، الادب ومذاهبه ، ص ١٣٥ .

٢) الادب ومذاهبه ، ص ١٣٤ .

٣) طه حسين ، خصام ونقد ، ط٩ ، (دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م) ، ص ٢٢٩ .

٤) طه حسين ، المرجع نفسه ، المكان نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى طه حسين[1] أن النويهي ذهب بابي نواس مذاهب لم تخطر له ، ولا لأحد من الذين عاصروه أو جاءوا بعده ، حين زعم أن نفسه قد أدركها ما يسميه أصحاب التحليل النفسي "عقدة أوديب" . ووصف طه حسين النويهي بانه التوى بقراءة شعر أبي نواس ، ففهمه على غير وجهه ، وحمل عليه من الاثقال مالا يطيق ، واضاع روعته وجماله ، واذهب بهجته ورواءه ، وجعله أشبه بما يعرض للمحموم من الهذيان . ويؤكد طه حسين أن الادباء الذين يقحمون أنفسهم على هذا العلم دون تعمق له أو تخصص فيه ، يسرفون على انفسهم ، ويجنون على الادب والفن وعلى الناس سيئات لا تكاد تحصى .

ولم يكن موقف طه حسين[2] من دراسة العقاد أقل عنفا من موقفه من دراسة النويهي . فقد عرض لدراسة العقاد بالنقد ، فرأى أنه غلا غلوّا شديدا في تعمق ظاهرة النرجسية عند أبي نواس . ومما أخذه على العقاد اسرافه في التفصيل عن الغدد وتأثيرها في الحياة النفسية للناس : حين تختلف ، وحين تأتلف ، وحين تلتئم ، وحين يجور بعضها على بعض . ويختم طه حسين حديثه عن هذه الدراسة قائلا :

" إن التحليل النفسي لابي نواس ينتج لنا كثيرا من الاعاجيب ، فقد أنتج لنا النرجسية في كتاب العقاد وانتج لنا في العام الماضي ذلك الرجل الذى أصابته عقدة أوديب ."[3]

وهو هنا يشير الى دراسة النويهي " نفسية ابي نواس " ، التي صدرت سنة (١٩٥٣م) : أى قبل دراسة العقاد بسنة . فواضح مما استشهدنا به من آراء طه حسين أنه لا ينكر أهمية علم النفس ، بقدر ما ينكر المبالغة والاسراف في أن نحمل الشخصية التي ندرسها أكثر مما تحتمل .

---

١) طه حسين ، خصام ونقد ، ص ص ٢٣١ـ ٢٣٣ .
٢) انظر : طه حسين ، المرجع نفسه ، ص ص ٢٣٧ـ ٢٤٠ .
٣) خصام ونقد ، ص ٢٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يطالب بان يدرس النص من الداخل ، وبما يحمل ، وليس بآراء خارجية . وهو لا يرفض نتائج علم النفس جملة وتفصيلا ، وانما يريد لمن يحلل على هذه الطريقة أن يتعمق في فهم هذا العلم ، حتى لا يجانبه الصواب فيما يقول .

وبين النقاد الداعين الى المنهج النفسي ، والنقاد الرافضين له ، يقف عدد من النقاد موقفا وسطا ، يجمع بين موضوعية العلم وذاتية الفن . فهم لا يرفضون الانتفاع بنتائج علم النفس ، ولكنهم يميلون الى الاعتدال في قبولها وسنكتفي بالوقوف عند ثلاثة منهم .

آراء بعض القاصدين من النقاد :

١ . شوقي ضيف :

تحدث شوقي ضيف عن المنهج النفسي في كتابه " في النقد الادبي " فبعد أن أشار الى نمو الدراسات النفسية في القرن العشرين ، وانعكاس ذلك على الادب ، تحدث عن استفادة النقاد المصريين المعاصرين من تلك الدراسات ، فقال :

" إن بعضهم يبالغ في ذلك حتى يتحول تحليله الى صورة استبطانات* ذاتية واسعة . وهي استبطانات طريفة ، الا أن لها عيبا وهو أنها لا تصلح للتكرار في نقد النماذج الادبية وتحليلها ."(١)

---

*) استبطان Introspection ، النظر في الذات ومحاولة وصف الخبرة الذاتية .
انظر : فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص ٦٠ .

١) شوقي ضيف ، في النقد الادبي ، ط ٢ (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م) ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى[1] أن الالحاح على تطبيق هذه الطريقة ، والمبالغة في رد الابداع الفني الى مجموعة من الآراء والعقد العامة : كعقدة النرجسية ، وعقدة اوديب ، يفسد النص، ويجعل من مثل هذا التحليل تكرارا مملا . ويرفض شوقي ضيف التغلغل وراء العقد في باطن اللاشعور الفردى(*) والجماعي* ، ويرى أن من الخير للناقد النفسي أن يعرفنا على الاسباب النفسية التي تجعله يرفض عن أثر أدبي ، ويسخط على اثر آخر . وان يصور لنا مبلغ التأثير العميق الذى يؤثر به عمل أدبي رائع في نفوس من يقرأونه . والتأثير الباهت الذى يؤثر به عمل ادبي ردىء[2] .

واضح أن شوقي ضيف يؤمن بجدوى المنهج النفسي في النقد ، ولكن على أن يبين لنا الناقد الاسباب التي تدفعه الى قبول أى أثر أدبي أو رفضه . وأن يشرح لنا كيف يؤثر ذلك الاثر الادبي في نفوس قرائه . وهو لا يريد لهذا المنهج أن يقف على العقد النفسية وحسب ، بل يريد له أن يتلمس الاثر الجمالي في التحليل ، وأن يعلل سبب جمال ذلك الاثر أو سبب قبحه .

---

١) شوقي ضيف ، في النقد الادبي ، ص٥٤ .

*) يشير الى مفهوم فرويد في الابداع ، الذى يراه ينبع من اللا شعور الفردى .

*) يشير الى مفهوم يونج ، الذى يرد الابداع الى اللا شعور الجمّاعي .

٢) انظر : شوقي ضيف ، المصدر نفسه ، ص٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. سيد قطب :

وسيّد قطب لا ينكر على الاديب الانتفاع بالدراسات النفسية ، بل يرى أن من واجب الاديب أن يفعل ذلك ، ولكن على أن تبقى للادب صبغته الفنية ، وان نعرف حدود "علم النفس" في هذا المجال .(١) وهو يريد للمنهج النفسي ان يكون اوسع من علم النفس ، وأن يتجنب الجزم والحسم ، وأن يقف عند حدود الظن والترجيح .(٢) ويطالب سيد قطب بالا نعتمد في تصوير شخصيات القصة على العقد النفسية ، والعناصر الشعورية وغير الشعورية وحدها . فالاديب يدرك الشخصية الانسانية كلا مجتمعا ، لا تفاريق مجزأة ، وتنطبع في حسه وحدة تتصرف بكامل قواها في كل حركة من حركاتها .

وكما هو واضح ، فان هذا الرأى الاخير الذى نادى به سيد قطب ، ليس جديدا ، فقد نادت به مدرسة الجشطالت* ، حين قالت بان الادراك ليس ادراكا لجزئيات ، أو عناصر تجمع الى بعضها لتكوين المدرك الحسي ، وانما هو ادراك لكليات ، ثم تأخذ هذه الجزئيات تتمايز وتتضح داخل هذا الكل الذى تنتمي اليه .

---

١) سيد قطب ، النقد الادبي : اصوله ومناهجه (؟ ، ١٩٤٧م) ، ص٢١٥ .

٢) سيد قطب ، المصدر نفسه ، المكان نفسه .

*) الجشطالت لفظة المانية الاصل تعني الشكل او النمط او الصيغة . والجشطالت هي الكل المتكامل . اما الجشطالت في علم النفس ، فهي مدرسة نشأت في المانيا سنة (١٩١٢م) ، وانطلقت من سيكولوجية الادراك ، فاعتبرته يتجه في بادئ الامر نحو الشكل الكلي لا نحو الاجزاء ، بحيث يتم ادراك الجزء من ضمن اطار الكل .

انظر اسعد رزوق ، موسوعة علم النفس ص ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. ماهر حسن فهمي :

يرى ماهر حسن فهمي[1] أن علم النفس قد يسعفنا في تفسير ظاهرة من الظواهر الفنية : كالتلاعب بالالفاظ عند أبي العلاء المعري ، والهجاء عند بشار ابن برد ، واستقصاء المعاني عند ابن الرومي . وهو يرفض أن نتتبع الفنان تتبعا نفسيا منذ نشأته ، ونحاول ان نكشف عن شذوذ نتخذه وسيلة لتفسير نتاجه . ويستبعد ان يتناول الناقد النص الادبي ويطبق عليه قواعد علم من العلوم ، ثم يصدر حكمه عليه بالصحة أو الفساد . ويرى ان مثل هذا النقد يقتل النص لا محالة، " وانما الهدف من هذه الاسس العامة ، الاسترشاد بها ، والهدف من هذه الثقافات المتنوعة صقل الاذواق . " (٢)

وواضح أن موقف النقاد المصريين من المنهج النفسي كان مختلفا فانقسموا بين : مؤيد ، ورافض، ومقاصد . وكان على المؤيدين لهذا المنهج ان يدعموا موقفهم ، وان يقدموا الادلة العملية التطبيقية في التحليل الادبي في ضوء المنهج النفسي .

رأي الدارس :

نحن نرى أن كثيرا من المبالغة ومن وجهات النظر المتطرفة تؤخذ على كلا الطرفين : اي الذين نادوا بضرورة علم النفس، والذين حاربوا هذه الفكرة . حتى إن تعصب بعض النقاد - الذين وقفوا ضد علم النفس - قد حجب عنهم شمس الحقيقة ، فنسوا أو تناسوا ان العلم ضروري للفن ، بوصفه الركيزة الاساسية من ركائز ثقافة الفنان ، حتى لو كان ذلك على نحو ضمني أو لا شعوري .

---

١) ماهر حسن فهمي ، المذاهب النقدية ، ص١٦٩ .

٢) ماهر حسن فهمي ، المرجع نفسه ، ص ١٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنهم تجاهلوا الواقع الذى هو الاساس الذى يقوم عليه الفن والعلم باستثناء ان احدهما يضطلع بالبحث عنه ، أما الآخر فلكي يتجاوزه "(١) فنحن نؤمن بضرورة ثقافة الناقد ، وبجدوى اطلاعه على مختلف العلوم . ونرى أن محاولة الفصل بين الذوق الادبي المحض ، وبين العلم ، تبقى محاولة ترفضها طبيعة الفكر الانساني ، كما يرفضها تاريخ تطور النقد الادبي في مختلف آداب العالم ، ذلك ان الفكر الانساني لم يقنع بالذوق الفطرى وحسب ، بل غالبا ما كان يتحسس العلل والاسباب لاستحسانه أو استهجانه . (٢) أما القول بان علم النفس وعلم الجمال وغيرهما من العلوم ، ليس فيهما كبير فائدة للادب ، فهذا قول مرفوض ، فقد ابدع طه حسين والعقاد والمازني بعد أن تعمقوا في روح التفكير العلمي ، وبعد ان احاطوا بخلاصة الحقائق العلمية التي توصل اليها الباحثون في فروع العلوم المختلفة ، وبعد أن اجادوا في اخذ نصيب من الثقافات اللغوية والادبية . وفي المقابل ، فان الذهاب الى اقصى الطرف والمبالغة في الحديث عن اهمية علم النفس للادب والنقد أمر مرفوض ايضا ، لان المعرفة العلمية وحدها لا يمكن أن تكون بديلا للبصيرة الادبية . اما اذا اجتمعت البصيرة الادبية الى جانب المعرفة العلمية ، فاننا نستطيع ان نزعم أن الاثار الادبية التي ستولد في ظل هاتين القيمتين ، ستكون عالية ، سواء أكانت ادبا أم نقدا .

---

١) دنيس هويسمان ، علم الجمال : الاستطيقا ، ترجمة اميرة حلمي ، مراجعة احمد الاهواني (دار احياء الكتب العربية ، د . ت) ، ص ١١٧ .

٢) انظر : محمد خلف الله احمد ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنهج النفسي عند النقاد المصريين :

والآن ، وبعد أن وقفنا عند آراء النقاد المصريين في المنهج النفسي ، نستطيع أن ننتقل للحديث عن النقاد الذين طبقوا ذلك المنهج . (وفي رأيي) أن هؤلاء النقاد ينتمون الى اتجاهين ، لانهم لم يقفوا من المنهج النفسي موقفا واحدا ، وانما كانت بينهم فروق في التطبيق : فمنهم من استعان بالمعارف النفسية العامة ، ومنهم من استلهم نظريات فرويد وطبق منهجه ، ومنهم من استعان بنظريات يونج ، ومنهم من وقف موقفا وسطا في الاخذ من علم النفس ، موقفا جامعا بين موضوعية العلم وذاتية الفن . ولان وضعهم جميعهم في اتجاه واحد يجعل الفوارق بينهم غير واضحة ، فقد رأيت ان اسلكهم في اتجاهين ، بل فرضت الدراسة علي ان يكونوا في احد هذين الاتجاهين ، وهما :

اولا :

الاتجاه نحو الاستضاءة برؤى العلم ، والاستفادة من كل ما يتصل بالمعارف العلمية ، ومن ضمنها علم النفس . وقد كان هم هؤلاء النقاد أن يوسعوا مجال نقدهم ، ويعمقوه ، بالالتفات الى معارف العصر ، وعلى هدى منها .

وفي هذا الاتجاه يقف كل من طه حسين ، وابراهيم المازني ، وعباس محمود العقاد* ، ومحمد النويهي* ، وشوقي ضيف .

ولا اريد ان يفهم من كلامي ان هؤلاء النقاد جميعهم قد وقفوا عند هذا الاتجاه وحسب ، فقد قام بعضهم بتطبيق المنهج النفسي فيما بعد . وسنقف عند كل ناقد على حدة .

---

*) ينتمي العقاد الى هذا الاتجاه في كتابه " ابن الرومي : حياته من شعره " فقط ، الا انه في كتابه " ابو نواس " يقع في الاتجاه الثاني الذي سنتحدث عنه .

*) ينتمي محمد النويهي الى هذا الاتجاه في كتابه " شخصية بشار بن برد " ، ولكنه تجاوز هذا الاتجاه في كتابه " نفسية ابي نواس " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طه حسين :

أما طه حسين ، فانه في دراساته لبعض الشعراء : كالمتنبي وابي العلاء المعري ، كان مثالا للناقد الذي يوسع معارفه ، ويعمق نقده بالالتفات الى النواحي النفسية ، ويعنى بجلاء التجربة الادبية من مختلف جوانبها الشخصية والاجتماعية والفنية . وقد جمع طه حسين في هذه الدراسات الى جانب التحقيق التاريخي ، والبحث الشامل لحياة كل شاعر ، وطبيعته ، ونواحي شخصيته ، وظروف عصره ، واحداث زمانه ، تحليلا نفسيا ذوقيا لاهم قصائده . وبذلك حقق ما ذهب اليه من الوجهة النظرية التي رأى فيها ان الادب متصل بطبيعته اتصالا وثيقا بانحاء الحياة المختلفة ، سواء منها ما يمس العقل ، وما يمس الشعور ، وما يمس حاجاتنا المادية .(١)

ويسلك طه حسين طريقا وسطا ، اذ يؤثر ان يكون منهج الدراسة الادبية جامعا بين موضوعية العلم وذاتية الفن ، حتى يكون فيه لذة العقل ، ولذة الشعور ، ولذة الذوق جميعا . ففي كتابه " مع ابي العلاء في سجنه " (٢) ، نلحظ لجوءه الى المعارف النفسية ، حين يقف عند عاطفتي الحياء ، وسوء الظن ، اللتين قويتا في نفس ابي العلاء ، واللتين كانتا لهما اعظم الاثر في حياته ، واعظم السيطرة عليها . فهو يرد ذلك الى " آفة العمى " التي جعلته يعتزل الطبيعة والناس ، حتى عجز عن الاستمتاع بجمال الطبيعة ، والحياة الاجتماعية كما يستمتع بها المبصرون .

---

١) انظر : طه حسين ، في الادب الجاهلي ، ط٢ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٢م) ص ١٤

٢) انظر : مع ابي العلاء في سجنه (دار المعارف ، ١٩٦١م) ص ص ١٠١ - ١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى طه حسين أن احساس أبي العلاء بالقصور سبب له الما شديدا ، واذى بالغا ، فهو لا يقبل على شأن من شؤون حياته الا مترددا مضطربا مرتابا بنفسه وبالناس . وبسبب هذه الآفة (العمى) كان مصروفا عن غيره ، وبحكم هذا الانصراف كان عليه أن يلزم داره نصف قرن لا يبرحها " فقدر أنت نصف القرن هذا كم يكون من سنة ، ومن شهر ، ومن اسبوع ، ومن يوم ، ومن ساعة . وقدر أنك اضطررت ان تلزم سجنا من السجون ، وليكن هذا السجن دارك التي رتبتها كما تريد وتهوى (...) فهل تتصور احتمالك للاقامة في هذا السجن اثناء هذه الاعوام المتصلة في حياة مطّردة مستوية يشبه بعضها بعضا ، كما يشبه الماء الماء ."(١) وهو لذلك يقرر ان اللزوميات لم تكن نتيجة العمل ، وانما هي نتيجة الفراغ ، وليست نتيجة الجد والكد ، وانما هي نتيجة العبث واللعب ، وان شئت فقل : انها نتيجة عمل دعا اليه الفراغ ، ونتيجة جد جر اليه اللعب .

ومن المناسب هنا ان نقف عند هذا القول ونستذكر ما تحدث عنه ادلر حول عقدة " الشعور بالنقص" . فقد اكد ادلر ان النقص الجسدي بالذات هو الذي يحرك القوى النفسية لتعويض النقص البشري . وان هذه القوى هي التي تؤدي الى كمال تطور الفرد ، وظهور نشاطه الابداعي .(٢) فطه حسين لا يلجأ الى استخدام مصطلحات علم النفس ، ولكنه يستفيد من هذا العلم بقدر ما يلقي من الضوء على ما يذهب اليه من آراء . ولعل هذا الاستخدام هو الذي دفع باحثا للقول :

" ان طه حسين كان من المقتصدين في استخدام نتائج الدراسات النفسية ، ولعل من مظاهر هذا الاقتصاد ، انه قلما يورد في دراساته المتعددة ذكرا لنظرية من نظريات علم النفس ."(٣)

---

١) طه حسين ، مع ابي العلاء في سجنه ، ص١٠١ .

٢) انظر : فاليري ليبين ، مذهب التحليل النفسي وفلسفة الفرويدية الجديدة ، ص ١١٤ .

٣) شحادة مطر ، " نقد طه حسين للمتنبي " ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الاسكندرية ، مخطوط ، ١٩٨٠م ، ص ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هناك نقطة ثانية يجب أن نتذكرها في هذا المجال تظهر استفادة طه حسين من علم النفس[1]، وهي تأكيده على ان اللزوميات جاءت نتيجة اللعب . فرويد نفسه كان يرى أن اللعب بالالفاظ والمعاني يولّد لذّة اولية ، وهذه اللذة الاولية كثيرا ما تتخذ عونا على اطلاق غريزة مكبوتة . وقد ناقش دالبيز[2] رأي فرويد هذا ، فخلص الى ان للفن وظيفتين : وظيفة لعبية ، ووظيفة تطهيرية .

فواضح أن طه حسين عندما تحدث عن سجن ابي العلاء وظروفه القاسية ، وضعنا في جوه النفسي ، وجعلنا متأهبين لكي نستنتج أن ابا العلاء كان عليه ان يلجأ الى شيء يلتمس به التسلية والتلهية عند نفسه ، حتى يشعر بلذة تقلل شيئا من الوحشة التي يكابدها ، وهذه اللذة هي لذة اللعب بالالفاظ .

وهناك دراسة اخرى لطه حسين عن الغزل العربي في صدر الاسلام في كتابه " حديث الاربعاء " ، يمكن ان نأخذ مثلا على هذا الاتجاه . فقد اقامها على اساس نفسي اجتماعي : اذ درس حياة ابناء المهاجرين والانصار في البادية والحاضرة ، وبين اثر الفقر واليأس والحرمان في نفوس اهل البادية ، واثر الغنى والثروة - حين اجتمعا الى اليأس من الحياة العلمية - في نفوس اهل الحاضرة[3] .

---

1) سامي الدروبي ، علم النفس والادب ، ص ٢٤٠ .

2) انظر : سامي الدروبي ، المرجع نفسه ، ص ٢٤١ .

3) طه حسين ، حديث الاربعاء ، ط١٢ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٥م .) ، ص ص ٢١٧ - ٢٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابراهيم المازني :

(١) استفاد المازني من علم النفس في تفسير ظاهرة الهجاء عند بشار ابن برد ، إذ ردها الى احساسه بالنقص ، بسبب أنه كان ضريرا ومولى من الموالي . وكان لابد له من ان يقوم بتعويض هذا الاحساس بالنقص ، عن طريق لسانه حتى يفرض شخصيته على من حوله الناس . يقول المازني : " ولم يكن ولوع بشار بالهجاء والتقحم على الناس بالشتم لحقد دفين ينطوي عليه ، وعداوة كامنة يمسكها في قلبه ، وضراوة طبيعية بالشر ، بل لانه كان يشعر بالنقص من ناحيتين : انه كفيف ، وانه من الموالي . " وقد تتبع المازني كل صغيرة وكبيرة في حياة بشار ، وروى كثيرا من اخباره* ليدل على ما تعج به نفسه من الم ومرارة ، ومن شعور بالنقص بسبب عماه ، وبسبب احساسه بانه ضعيف ، محدود الطاقة ، مصروف عن كثير مما يزاوله المبصرون . يقول المازني موضحا :

" وفي طباع الانسان أن يستر ضعفه ، أو يحاول ان يفيد عوضا عما حرمه أو فقده . "(٢)

---

١) ابراهيم المازني ، بشار بن برد ، دار احياء الكتب العربية ، د . ت) ، ص ص ٢٢ - ٢٣ .

*) كان من جملة الاخبار التي رواها المازني خبر بشار حين دخل على المهدى فانشده قصيدة امتدحه بها ، ولما فرغ منها اقبل عليه يزيد بن منصور الحميري وسأله : يا شيخ ما صناعتك ؟ فقال بشار : " اثقب اللؤلؤ " ، فضحك المهدى ثم قال لبشار : اغرب ويلك انتنادر على خالي ؟ قال بشار : " ما اصنع ؟ يرى شيخا اعمى ينشد شعرا ويسأله عن صناعته . يعلق المازني على هذا الخبر قائلا : يقرأ المرء هذا الخبر فيبتسم ، ولكنه يشعر بما في رد بشار من مرارة خفية ، ومن ادراك لكونه اعمى محدود الطاقة . وانه لمحدود مصروف عن كثير مما يزاوله المبصرون .

انظر : ابراهيم المازني ، المصدر نفسه ، ص ٣٠

٢) ابراهيم المازني ، بشار بن برد ، ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) ومن دراسات المازني التي تنتمي الى هذا الاتجاه ، دراسته لابن الرومي وحياته في كتابه "حصاد الهشيم" . فعندما يقف المازني امام ظاهرة الفحش في أهاجي ابن الرومي ، وامام ظاهرة التشاؤم والتطيّر الواضحة في شعره ، نجده يؤكد على أن ابن الرومي رجل غريب شاذ . ويحاول المازني[1] ان يلتمس اسباب ذلك الشذوذ ، ليهتدي الى بعض السر في شعره ، فيرى أن ذمه ليس ضربا من التكلف لمجرد الذم او القدح ، وانما يعود الى اضطرابه واختلال توازن الاعصاب عنده . وهذا سبب له ضيق خلق ، ونزق طبع ، وقصر اناة . وعندما يقف عند ظاهرة ذكر الاعضاء التناسلية في شعره ، فانه يربطها باتهام الناس له بالعنّة والتخنّث . ويرى أن استفزاز معاصريه له بقولهم انه عنّين ، كان سببا من الاسباب التي ادت الى ثورته وهجائه لهم انحى الهجاء واقذعه .

وهناك ظاهرة مهمة جدا وقف عندها المازني ، هي ظاهرة "الذاتيّة"* الكامنة في شعر ابن الرومي . فرأى ان احساسه بثقل القيود المحيطة به ، وشعوره بعمقها وحزّها ، وادراكه لمبلغ تعويقها ، ابرز عنده عقدة "انا" في شعره[2] . فكان ابن الرومي اراد ان يثبت ذاته رغم كل ما يعترض حياته من عقبات .

ولان ابن الرومي كان يريد أن يحيا حياة فنية اقرب الى مثله العليا التي كان ينشدها ، واليق بمنزلته ، ولكنه عجز عن تحقيق ذلك ، فقد حفل شعره بذكر نفسه ، واكتظ بالمقابلة بين الرغبة والامكان ، وبين الامل والواقع .

ان كل هذه التفسيرات التي تحاول ان تتلمس الناحية النفسية عند ابن الرومي نجد لها جذورا في علم النفس ، ولكنها لم ترد بشكل واضح عند المازني . وانما هو يستفيد من هذا العلم في تفسير بعض الظواهر في شعر الشاعر . واذا استثنينا حديثه عن عقدة "الانا" التي تشير الى مفهوم النرجسية Narcissim ، الذي -

---

١) ابراهيم المازني ، حصاد الهشيم ، مصر : المطبعة المصرية ، ١٩٢٥م ، ص٢٤٨ .

*) يشير الى اثبات الذات .

٢) ابراهيم المازني ، حصاد الهشيم ، ص٢٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحدث عنه علماء النفس ، فاننا لا نكاد نلمس اننا امام ناقد يوظف علم النفس . وفي ظني أن استخدام المازني لمصطلح "أنا" لم يكن مقصودا كما اراد له فرويد في مفهومه الشخصية ، ولكنه استخدام عفوي يشير الى اثبات الذات ليس الا . ولهذا يشعر المرء بالمتعة وهو يقرأ مثل هذه الدراسات . وربما لهذا السبب وجدنا طه حسين يثني على دراسة المازني ، فيقول :

"وعني المازني في مقالاته عن ابن الرومي في كتابه " حصاد الهشيم " عناية اشهد انها من اقوى العنايات . فلا اعرف اني قرأت شيئا اروع ولا امتع من هذه الفصول التي كتبها ."(١)

عباس محمود العقاد :

أما كتاب العقاد " ابن الرومي حياته من شعره " الذي كتبه سنة(١٩٣٧م) فانه يعد ايضا من هذا النوع من الدراسات . ونحن نرى ان من المبالغة ان يقال :

"ان العقاد استخدم في دراسته لابن الرومي طريقة التحليل النفسي وفق مذاهبه الحديثة ."(٢)

فأنت تقرأ ما كتبه العقاد عن ابن الرومي في هذا الكتاب من اوله الى آخره ، فلا تكاد تظفر بخط " سيكولوجي " بالمعنى الذي شرحناه لهذه الكلمة ، ولكنك تجد العقاد يستفيد من المعارف النفسية في القاء الضوء على شعر ابن الرومي وحياته ، دون ان يوغل في التحليل النفسي كما فعل - مثلا - في كتابه " ابو نواس " ، او كما فعل النويهي في كتابه " نفسية ابي نواس " . انك واجد نفسك امام ناقد يعمق من نقده بالالتفات الى النواحي النفسية ، دون ان يهمل الناحية الفنية في تحليله ، وانما يعرج عليها بين الحين والاخر . وتطبيقا لما قلنا ، فاننا نقف عند العقاد في " ابن الرومي : حياته من شعره " .

---

١) طه حسين ، من حديث الشعر والنثر (دار المعارف ، ١٩٦٥م) ، ص ١٥ .

٢) حسين مروّة ، دراسات نقدية : في ضوء المنهج الواقعي (بيروت : دار المعارف ، ١٩٧٢م) ، ص ٢٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتحدث العقاد[١] عن عصر ابن الرومي (القرن الثالث الهجري) ، فيرى أنه كان عصر المتناقضات : كان عصر الحكمة وعصر الجهالة ، كان عهد اليقين وعهد الايمان ، وكان عهد الحيرة والشكوك . ثم يتحدث عن الحالة السياسية فيرى انها كانت مضطربة غير مستقرة ، فقد ادرك ابن الرومي في حياته ثمانية من الخلفاء . ثم يعرض الحياة الاجتماعية فيلخصها على النحو التالي :

" اذا تلخصت الحياة السياسية في سوء الظن ، فقد تتلخص الحالة الاجتماعية في انتظام الفرصة . وان هذا وذاك في الحالتين لكالشيء وظله ، أو كالصوت وصداه ."[٢]

بعد ذلك ينتقل للحديث عن الحالة الفكرية ، فيقرر ان ذلك العصر كان من ازهى عصور العلم في بلاد الاسلام قاطبة ، وفي كل العلوم : الدينية ، والادبية ، ومسائل البحث في النجوم والرياضيات . وينتقل بعد ذلك للحديث عن الدين والاخلاق ، فيرى انهما كانا انعكاسا لكل الاحوال السياسية والاجتماعية والفكرية ، فكنت تجد الغلو في التدين ، مثلما تجد الشكوك وتعدد المذاهب . ثم يأتي للحديث عن ابن الرومي ، فيرى أن هذا العصر كان صالحا لظهور ابن الرومي الشاعر ، لانه كان عصرا حيا حافلا بامنات الحياة والوان الاحساس ، مشغولا بالشعر والعلم . ولكنه لم يكن صالحا لابن الرومي الرجل أو الانسان ، بل كان عصر مضيعة له ولامثاله . فكانت قسمته تلك من غرائب القسم التي تتنازع الانسان بين النقيضين . ولكن ما علاقة ذلك كله بعصر ابن الرومي وحياته ؟

يرى العقاد[٣] ان كل ذلك انعكس على شعر ابن الرومي وشاعريته ، فكان شاعر النقائض في عصر النقائض ، وشاعر الفطنة في عصر الرياء المضحك ، او عصر الاختلاف بين الظواهر والبواطن ، والبعد الشاسع بين ما هو كائن وبين ما يدعى ويستوجب .

---

١) عباس محمود العقاد ، ابن الرومي : حياته من شعره (دار الهلال ، د.ت) ، ص ص ١٣ـ٢٨ .

٢) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

٣) المصدر نفسه ، ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اجتمع لابن الرومي من عناصر السخرية ما لم يجتمع لاحد غيره في عصره : اجتمعت له دقة الملاحظة والاحساس ، وعمق الشعور بالمتناقضات في نفسه وفي زمنه ، وسعة النظار الى الفوارق وسماحة العطف التي تقابل مرارة العصبية . فهو ساخر لا يبارى في سخره ، وعابث مطبوع على العبث بكل شيء حتى صحبه ونفسه .

ويقف العقاد[1] بعد ذلك عند فشل ابن الرومي في مجتمعه ، فيرجع ذلك الى أنه كان قليل الحيلة صفرا من الدهاء ، غريب الاطوار ، مما جعله هدفا لكل مافي الطبائع الانسانية من لؤم وسفاهة وسوء ظن . يضاف الى ذلك نكبات متواليات نزلت به : ماذ نجع في اهله وولده ، ونكب في زرعه وعقاره . وكل هذا جعله من " طرداء القدر " على حد تعبير العقاد ، وانعكس اثره في شعره ، فكان يكثر من ذكر السعود والنحوس ، واصبحت الطيرة من العلامات المميزة لشعره . ثم يتحدث العقاد عن ظاهرة الهجاء عند ابن الرومي ، فيؤكد أن للحضارة اثرا في هجائه . فهو اذا تبرم بالناس ناتما يتبرم بهم تبرم من يألفهم ، ويأنس اليهم ، ويعاني من عشرتهم ، ثم يسخط عليهم لانه مقيد بهم لا يستطيع الفكاك عنهم . ولذلك فهو يدفع بهجائه الالم عن نفسه ، وليس يعنيه أن يوقع الالم بغيره . ان هجاءه لم يكن نابعا من رداءة نفسه ، بل كان كذلك لانه قليل من الحيلة ، طيب السريرة ، خال من الكيد والمراوغة والدسيسة ، وما شابه ذلك من ادوات العيش في مثل عصره . لقد كان مستغرقا في فنه يحسب أن الشعر والثقافة والعلم ستكون طريقه الى مراتب الوزارة والرئاسة . وقد كان ابن الرومي شاعرا وكاتبا وخطيبا واسع الرواية ، مشاركا في المنطق والفلك واللغة ، وكل ما ندور عليه ثقافة عصره . فلا اقل اذن من ان تأتيه الوزارة ساعية اليه تخطب ودّه ، كما جاءت الى اناس كثيرين لم يبلغوا علمه ومكانته في البلاغة . غير انه لم يحصل على شيء

---

١) عباس محمود العقاد ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ - ١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هذا . فهل غبن اصعب على النفس من هذا الغبن ؟ وهل تقصير من هذا الزمان آلم من هذا التقصير ؟ لقد كان شعر ابن الرومي انعكاسا لكل هذه الظروف ، فانطلق يصخب ويثلب ، فكثرت اهاجيه واشتد اقذاعه ، فكان الذين يمدحهم بالامس ولا يجيزونه يثلبهم بعد ذلك . وكان لا يفصل المدح عن القدح فاصل ، فيكاد يكون المدح والقدح متواليين في صفحات الديوان .

نواضح أن العقاد يستضيء ببعض المعارف النفسية التي تعينه على فهم الشاعر . فهو تحليل يعكس اثر البيئة في شعر ابن الرومي ، مع تنبه لبعض النواحي النفسية التي كانت تسيطر على الشاعر ، فتقود خطاه الى ذلك الهجاء المر القاسي ، ولكنه ليس باقسى من البيئة والظروف التي فرضت عليه . ولذا فنحن نرى ان هذا الكتاب ينتمي الى الاتجاه الاول : اى اتجاه الاستضاءة بالمعارف النفسية ، وليس التحليل وفق منهج نفسي قائم بذاته ، كما نجد ذلك في دراسة العقاد لابي نواس . فالعقاد يجمع في هذا الكتاب بين التحليل النفسي والتحليل الفني . وربما لهذا السبب وجدنا طه حسين يثني على هذه الدراسة ، ويرى انها من احسن ما كتب عن ابن الرومي في ذلك الوقت ، فيقول :

" فالباحثون يجب ان يعنوا بابن الرومي لا اقول في الادب وحده ، بل في الادب والفلسفة وعلم النفس . فالاستاذ العقاد في كتابه " ابن الرومي : حياته من شعره " - على عنايته بالشاعر - قد احسن الى ابن الرومي ، واحسن الى الادباء المعاصرين احسانا لا حد له (١)

فاذا تذكرنا أن طه حسين وقف من دراسة العقاد لابي نواس موقف الرافض ، يصبح واضحا لدينا تماما انه لا يريد المبالغة والاسراف في استخدام المنهج النفسي ، وانما يريد الاستفادة منه بقدر ما يكشف عن جوانب الابداع عند الشاعر وبقدر ما يضيء لنا الطريق لتفهم شعره . ولعل هذا يؤكد ما ذهبت اليه من أن دراسة العقاد لابن الرومي تقع في الاتجاه الاول الذي يستضيء بالمعارف النفسية ، دون [illegible]

---

١) طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد النويهي :

قدم النويهي[1] دراسة بعنوان "شخصية بشار" سنة (١٩٥١م) : اى قبل دراسته "نفسية أبي نواس" بسنتين .وتعد هذه الدراسة من الاتجاه الاول ، فقد نظر النويهي الى عمى بشار وقبح خلقته ، وشعوره بالنقص ، ونظر في البيئة التي كانت تعد العمى نقصا شديدا بالرجل جسمانيا وخلقيا ، فقرر ان كل ذلك كان قد انعكس في شعره ، وعلى شاعريته . ولذلك حاول بشار ان يعوض ذلك النقص ، فيأتي بما لم يقدر البصراء ان يأتوا بمثله .

ويقف النويهي في هذه الدراسة عند ظاهرة الهجاء التي عرفت عن بشار ، فيرى انها جاءت انعكاسا لاضطهاد الناس له ، واحتقارهم اياه ، وازورارهم عنه ، وازدرائهم شخصيته .ويروى النويهي[2] قصصا كثيرة تتعلق بحياة بشار ، ثم يعلق عليها تعليقا يشير الى انتفاعه ببعض نتائج علم النفس . وسنكتفي بسرد حادثة واحدة تدل على ما ذهبنا اليه ، مع ان الكتاب ملئ بالقصص والحوادث . وهذه الحادثة مشهورة جدا ومفادها : "انه كان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط ، طلب منه بشار ان يتخذ له جاما* فيه صور طير تطير . فاتخذه له وجاء به اليه ، فقال له بشار : ما في هذا الجام ؟ فقال : صور طير تطير . فقال له بشار : كان ينبغي ان تتخذ فوق هذا الطير طائرا من الجواء كانه يريد صيدها فانه كان احسن . قال الخراط : لم اعلم . فقال بشار : بلى قد علمت ، ولكن علمت انني اعمى لا ابصر شيئا . هذه تفاصيل الحادثة فكيف ينظر اليها النويهي وكيف يفسرها ؟

---

١) محمد النويهي ، شخصية بشار ، ط١ (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١م) .
٢) المصدر نفسه ، ص ص ١-١٣ .
*) الجام : اناء من فضة ويجمع على اجوم وجومات .
انظر : مادة جوم لسان العرب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتساءل النويهي قائلا : لم اختار بشار صور طير تطير دون غيرها مما كان يستطيع طلبه من التخيلية ؟ ويجيب على نفسه قائلا : لعل عالما نفسانيا لو قرأ هذه القصة لرأى في الطير التي تطير (ولاحظ انها ليست جاثمة على الارض) محاولة من بشار في الارتفاع على نقائصه ، والتحليق فوق همومه . فلما صورها الصانع فلم يستطع رؤيتها لم يجد بها كفاء ، بل ذكرته مرة اخرى بنقصه الاعظم ، فعاد يتطلب جارحا يغلبها ويقهرها جميعا . ولسنا نحتاج ان نكون علماء نفسانيين لندرك ان هذا الجارح هو بشار نفسه .

كذلك وقف النويهي[1] عند ظاهرة الغزل في شعر بشار ، فأكد ان لجوءه الى الغزل كان متنفسا صادقا عن حاجة نفسية ملحّة غلّابة . ونفى النويهي ان يكون نظمه لشعر الغزل تكلفا ومعابثة . ولذلك نقد اورد قصائد كثيرة حللها وبين فيها مدى حزن الشاعر وتفجعه حين منعه المهدي من الشعر . حتى لقد تقبل القتلى برضى واستخفاف . فأي خير بقي له في الحياة الدنيا ، واي مطلب للشاعر الصادق الذي يحجز عن متنفس روحه وملاك وجدانه ؟

فواضح ان النويهي يستضيء في هذه الدراسة ببعض مفاهيم علم النفس ، وخاصة مفهوم ادلر للابداع الفني ، الذي يرد فيه الابداع الى شعور الانسان بالنقص ، ذلك الشعور الذي يحرك القوى النفسية لتعويض النقص البشري ، مما يؤدي الى كمال تطور الفرد وظهور نشاطه الابداعي . فالنويهي يستفيد من هذه المعارف في تفسير بعض الظواهر عند بشار وابن برد : كظاهرة الهجاء ، وظاهرة الغزل . لكنه لا يغرق النص بمصطلحات علم النفس ومفاهيمه كما نفعل فيما بعد في دراسته "نفسية ابي نواس" . حتى في حديثه عن ظاهرة الغزل الذي جعله متنفسا عن حاجة نفسية لبشار ، يستفيد من مفهوم التسامي* دون ان يأخذ بالمعنى الحرفي لهذا المفهوم .

---

١) شخصية بشار ، ص ص ٢٥٥ - ٢٦٩ .

*) مفهوم فرويد التسامي يتلخص في تحويل طاقة الميول المكبوتة واستنفادها في ميادين اخرى من ميادين النشاط والانتاج تقرها الاوضاع الاجتماعية والتقاليد . انظر : اسعد رزوق ، موسوعة علم النفس ، ص ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شوقي ضيف :

تحدث شوقي ضيف[١] في كتابه " التطور والتجديد في الشعر الاموي " عن ظاهرة " الغزل المعكوس " في شعر عمر بن ابي ربيعة . فرأى ان هذه الظاهرة ترجع الى نشأة عمر التي نشأها في حجر أمه بعد ممات ابيه ، وما كان لهذه النشأة من اثر عميق في نفسيته . فقد كان عمر جميلا وكانت أمه غريبة ، فاعتد ولعها به . وقد رشحته هذه التربية الى ان يحسن وصف النساء ، وان يعرف حقا كيف يصور نفسيتهن ، فجاء شعره يحمل جانبا من انعكاس العاطفة وشذوذها . ولهذا السبب حول عمر الغزل من الرجل الى المرأة ، فجاءت الصورة العامة في غزله انه معشوق لا عاشق . وبذلك انعكست العاطفة عنده ، وشذت هذا الشذوذ الذي حوله من عاشق الى معشوق . فاذا النساء هن اللائي يطلبنه ، واذا هو الذي يدلّ عليهن ويختال ، لانه المتبوع لا التابع . فالنساء يغنّ به ، ويتصدين له ، وينتهزن كل فرصة للقائه ، ويثرن له باليد حينا ، وبالعين حينا ، وهو في كل ذلك لا يعنى ولا يلتفت دلالا وتيها ، واعجابا بنفسه وبجماله .

وبعد أن يفرغ شوقي ضيف من الحديث عن الحالة النفسية التي يتمتع بها عمر ، والتي انتجت هذه العاطفة المعكوسة ، ينتقل للحديث عن شعر عمر . ويرى انه جاء ثمرة هذه الحضارة التي دخلت مكة والمدينة ، فارهفت المشاعر ، وطبعت الناس بطوابع جديدة . فقد استطاع عمر - على الرغم مما في شعره من الشذوذ العاطفي - ان ينفذ الى تصوير مجتمعه الجديد . واستطعنا من خلال غزله أن ننفذ الى كثير من المدركات النفسية للمجتمع العربي في مكة والمدينة ، وما اصابه من تبدل تحت تأثير الحضارة الجديدة . حتى ان شوقي ضيف يرجع شيوع ظاهرة الغزل في المدينتين الكبيرتين بالحجاز الى عوامل نفسية ، وعوامل اجتماعية . فاما النفسية ، فيرى انها ترجع الى الفرد الذي اخذ يشعر بنفسه اكثر مما كان يشعر بها في الجاهلية . فقد كان قديما يغني في قبيلته ويذوب فيها ،

---

١) شوقي ضيف ، التطور والتجديد في الشعر الاموي ، ط٦ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧م) ، ص ص ٢٤٣ - ٢٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يحس لنفسه بوجود الا من خلالها . وهو لذلك كان يتغنى بمفاخرها ، ويهجو خصومها ، ويمدح سادتها . اما في هذا العصر فقد شعر شباب المدينتين انهم ورثة كسرى وقيصر ، وقد صبت في حجورهم خزائن الارض ، وشعروا كأن الدنيا تدين لهم ، فتولد عندهم شعور عميق بأنفسهم . وكان هذا الشعور سببا في ان تحول الشعر من بعض وجوه الحديث عن النفس لا عن القبيلة ، فأصبح كله أو كاد غزلا ، بعد ان كان أكثره فخرا وهجاء .

وقد تنبه شوقي ضيف الى التأثير النفسي في شعر ذي الرمة الذي يصف فيه الصحراء (١) . ورأى ان قدرته وروعة التصوير عنده لحيوانات الصحراء ، ذلك الوصف الداخلي الدقيق ، ليس الا انعكاسا لنفسه ومواجسه ووساوسه واضطرابه وقلقه وخوفه من المصير الذي يلاقيه الانسان في هذه الحياة ، بل ويلاقيه الحيوان ايضا .

فمثل هذه الدراسة استفاد فيها شوقي ضيف من المعارف النفسية العامة بما يعمق من فهمه لظاهرة الغزل المعكوس عند ابن ابي ربيعة ، وبما يعينه على فهم شعره بعامة . ومن هنا يتضح ان شوقي ضيف وغيره من النقاد الذين سلكناهم في هذا الاتجاه ، يستفيدون من المعارف النفسية ، ويستضيئون بها ولكنهم يتركون مجالا لاحكام وآراء جمالية ، ولا يجعلون المنهج النفسي وحده رائدهم في الدراسة والتحليل .

---

١) التطور والتجديد في الشعر الاموي ، ص ٢٤٢ - ٢٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا :

الاتجاه نحو الدعوة للمنهج النفسي وتطبيقه :

وفي هذا الاتجاه نجد عددا من النقاد المصريين الذين لم يكتفوا بدعوة النقاد لتعميق نقدهم بالالتفات الى علم النفس ، بل ويقومون بالدعوة لمنهج نفسي في النقد الادبي . وقد قام هؤلاء النقاد بدراسة النصوص الادبية والممارسة وفق المنهج النفسي الذى دعا اليه " فرويد " و " يونج " وغيرهما من علماء النفس . ويمثل هذا الاتجاه عدد من النقاد المصريين ، منهم من مر بتجربة الاتجاه الاول : مثل الفويهي ، وعباس محمود العقاد ، ومنهم من كان موقفه منذ البداية مع المنهج النفسي وتطبيقه : مثل امين الخولي ، محمد خلف الله ، وعز الدين اسماعيل . وسنقف عند كل واحد من هؤلاء لنرى مساهمته في بناء المنهج النفسي في النقد الادبي .

امين الخولي :

(١) كان امين الخولي من اوائل الداعين للمنهج النفسي ، بل ويعتبر احد الرواد الاوائل لهذا المنهج . ونشط نشاطا كبيرا في نشر الابحاث* والقاء المحاضرات ، التي تؤكد الاتصال الوثيق بين الادب وعلم النفس . ونظر الخولي في المنهج الادبي نظرات خاصة بالناحية النفسية ، واضطر الى تقسيم المنهج الادبي الى قسمين : منهج خارجي ، ومنهج داخلي . وجعل " المنهج الخارجي " هو الجمع المستقصي للنصوص والتحقيق المثبت لها و " المنهج الداخلي " هو الفهم الدقيق المستشف ، وذلك هو لباب المنهج الادبي وروحه كما يرى الخولي (١).

---

*) من البحوث التي نشرها في هذا المجال بحث بعنوان " البلاغة وعلم النفس " نشره في مجلة كلية الآداب ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ، سنة ١٩٣٩م ، صص ٣٦ - ٤٨ . وبحث آخر بعنوان " علم النفس الادبي " ، نشره في مجلة علم النفس ، ٢٥١ (١٩٤٥ - ١٩٤٧م) ، صص ٣٦ - ٤٨

١) امين الخولي ، مناهج تجديد : في النحو والبلاغة والتفسير والادب ، صص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونظر الخولي في صنيع الاقدمين في فهم النصوص ، فرأى أن منهجهم ليس كافيا ، ولا خليقا بالانتهاء عنده اليهم ، بل لا بد من اكماله واتمامه ، " وانما يتم ويكمل اذا فهمناه فهما نفسيا ، وجعلنا الاعمال اللغوية والنحوية وما اليها طرائق وسبلا للفهم البلاغي المدعم بالخبرة النفسية . وبهذا نفهم الادب فهما صحيحا ، ونستطيع أن نجد له الوقع النفسي المرجو لفن جميل (١)".

ولم يكتف الخولي بالكلام النظري وحسب ، بل مضى يبين وجوب الفهم النفسي للاديب ، وقدم على ذلك مثلا في فهم فن أبي العلاء المعري (٢) فهما نفسيا ، قدر فيه صلة الاديب بفنه ، والفن بمبدعه ، واجمل القول في خطوات الفهم النفسي للادب والاديب . ودعا الى ان تكون الخطوة الاولى في الفهم النفسي للادب والاديب هي وصل الادب بادبه ، بحيث نفهم الادب بشخصية صاحبه ، كما نفهم شخصية الاديب بآثاره الفنية . وبهذا يتكامل الفهمان : فهم الادب بالاديب ، ثم فهم الاديب بالادب . وانتهى الخولي من ذلك كله الى ضرورة علم النفس الادبي ، لفهم الادباء فهما ينير طريقنا الى الادب ، ويمكننا من القول الصحيح في تاريخه .(٣)

وكما هو واضح فان هذه الدعوة الاخيرة التي نادى بها أمين الخولي من وصل الاديب بأدبه ، ترتد جذورها الى رأي "يونج" ، في نظريته التي شرح فيها العلاقة بين الفنان وعمله الفني . فقد اكد يونج على هذه القضية ، فقال :

---

١) امين الخولي ، مناهج تجديد : في النحو والبلاغة والتفسير والادب ، ص ٣٢٩ .
٢) انظر : امين الخولي ، رأي في ابي العلاء (جماعة الكتاب ، ١٩٤٥م) .
٣) امين الخولي ، مناهج تجديد ، صص ٣٣٣ـ ٣٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"إذا كنا نستطيع فحص بنية الاديب النفسية بصفته بشرا حتى نهتدي الى مقومات شخصيته ، فاننا لا نستطيع ان نفهمه بوصفه فنانا يملك مقدرة فنية خاصة الا بالنظر الى تحصيله الابداعي"(١).

وفي مجال التطبيق قدم امين الخولي كتابه "رأى في أبي العلاء".

فبدأ الخولي دراسته مقررا انه ليس لابي العلاء آراء ثابته في شيء . فهو زاهد عابد : يحرض على اعمال النسك ومظاهر الزهد ، يقنع بالقليل ويفرح باليسير ، وهو تارك اعمال الدنيا: لا يحفر بئرا ، ولا يغرس نخلا (٢) وهو في الوقت نفسه جاهد في (٣) تحسين حاله في الحياة ، ولكنه لم يستطع . فهو لم يطلق الدنيا بل هي التي طلقته . وابو العلاء يكره الذبح والدم ، ويكره مظاهر العنف ، وينهى عن اكل السمك واللبن والبيض ، ولكنه في الوقت نفسه يدافع عن افتراس الاسد بأنه على هذا جبل . وهو يؤثر اللبن على اللحم ، ويشرب الماء في الجلد . وهو الذي مجد السيف ، وعشقه ، وحبذ الفروسية واعجب بالقوة ، حتى يقول :

وان انا قلت لا تحمل جزا را
فهز اخا السفاسق واضربني
فنصل السيف وهو اللج يدمي
غريقا فوق سيف مر فئن

وهذا شأنه ايضا في كره الحياة وحبها . فقد برم بالحياة وانصرف عنها فقال :

وحب الانفس الدنيا غرور
اقام الناس في هرج ومرج

وفي المقابل فقد عد حب الحياة طبعا في المقيم بها ، فهو يحبها كغيره :

أحبك أيها الدنيا كغيري
واشراني قلاك ولست اشرى

---

١) C.G. Jung , Ibid , P. 198 .
٢) امين الخولي ، رأى في ابي العلاء ، ص ص ٢٨ـ ٣٥ .
٣) المصدر نفسه ، ص ص ٥٣ـ ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس أبو العلاء اثبت رأيا في المرأة او في الحزلة أو في كل شؤون حياته . فهو متناقض اشد ما يكون التناقض ، بل ان التناقض ظاهرة عامة شاملة في آرائه جميعا[1] ، يقول :

فقارب وباعد ، واحب واعد ، ولا تقـل

وقولن موجاهر بالمراد وكاتم

وحين يحاول أمين الخولي تفسير هذا التناقض فانه يرجعه الى امرين في نفسه هما : الرغبة المتوثبة في الاستعلاء على ضعفه والقهر لواقعه ، ودقة هذه النفس الشاعرة في ادراك عوالمها المختلفة ، وخوالجها المتغايرة . ويؤازر هذين العاملين انقطاع ابي العلاء لتدوين خواطره وفراغه لذلك وتوافره عليه . ويرجع ذلك الى فعل "مركب النقص" او "عقدة العجز" . فأبو العلاء من حيث هو انسان خاضع للنواميس النفسية العامة : اذ تركت حالته الجسمية فيه آثارها النفسية . والناموس العام للناقصين والمحرومين هو فعل مركب النقص او عقدة العجز في نفوسهم . ولهذا السبب كانت حياته استعلاء متصلا ، وتعويضا متلاحقا .[2]

٢ . ولا يقل محمد خلف الله احمد اهمية عن الخولي من بين النقاد المصريين الذين يشغلون مكانا خاصا في الدعوة للمنهج النفسي . فهو أيضا من الرواد الاوائل ، جاهد في سبيل وضع اسس علمية قوية لمنهج نقدي جديد هو المنهج النفسي . فمنذ البداية سنة (١٩٢٨م) شارك في التخطيط لموضوع الصلة بين علم النفس والادب حين كان مدرسا بقسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، ونهض بالجزء الاكبر من تدريسه .[3]

---

١) انظر : امين الخولي ، رأي في ابي العلاء ، ص ص ٩٠ـ٩٢ .

٢) انظـر : امين الخولي ، المصدر نفسه ، ص ص ٩٢ـ٩٤ .

٣) انظـر : عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ذلك تابع خلف الله نشر بحوثه المتصلة بهذا الموضوع في مجلتي " الثقافة" و" الآداب الاسكندرية "، التي كان قد نقل اليها منذ انشاء جامعة الاسكندرية سنة (١٩٤٢م) .

---

*) من بحوثه التي ساهم فيها ببناء منهج نقدي قائم على علم النفس نذكر :

١) في سنة (١٩٤٦م) ، اصدر كتابه "كيف يعمل العقل" عرض في الجزء الثاني منه نتائج الدراسات النفسية الحديثة في مختلف ميادين حياة الجماعة ومنها ميدان الفن والتذوق الفني والادبي .

٢) في سنة (١٩٤٧م) ، قدم مشروع منهج في البلاغة والنقد يستفيد من النواحي الجمالية والنفسية .

٣) وفي السنة نفسها شارك في العدد التذكاري لشوقي وحافظ ببحث عنوانه " اضواء من علم النفس على شعر شوقي وحافظ " نشر هذا البحث في "مجلة الكتاب" ، ثم اعيد نشره ضمن مجموعة " بحوث ودراسات في العروبة وآدابها " سنة (١٩٧٠م) .

٤) في سنة (١٩٤٨م) ، قدم بحثا بالانجليزية الى مؤتمر المستشرقين الدولي بعنوان " الاتجاه النفسي في دراسة اسرار البلاغة عند الجرجاني " .

٥) وفي سنة (١٩٤٧) قدم كتابه " من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده " فجمع اطراف فكرته التي شغل بها منذ اوائل الثلاثينات .

انظر : محمد خلف الله احمد ، من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده ، ص ص ٥ ـ ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تحدثنا عن بعض آرائه في الصلة بين علم النفس والادب في (الفصل الاول) ، ولا حاجة لان نعيد ما قلناه في هذا المجال ، ولكن يكفي أن نستشهد برأى احد النقاد المصريين المعاصرين اذ يقول :

" ويبدو محمد خلف الله أعقل النقاد الذين جرفهم التيار النفسي ، كما يبدو أقربهم الى احترام نظرية الادب في مفهومها الجديد ، حيث تفرض على الدراسات أن تبحث في صلة النتاج الادبي بشخصية صاحبه ، وأن تنتفع بدراسات العقل الواعي والعقل الباطن في تنوع ذلك النتاج وكشف مصادره " (١)

(٣) واذا كان العقاد ينتمي الى الاتجاه الاول في كتابه " ابن الرومي " ، فانه في كتابه " ابو نواس " يقف مع أوائل النقاد الذين طبقوا المنهج النفسي . بل لقد فضل المنهج النفسي على غيره من المناهج ، فقال :

" ان مدارس النقد جميعا توشك أن تنحصر في ثلاث : مدرسة التحليل النفسي ، ومدرسة الدراسة الاجتماعية ، ومدرسة الاذواق الفنية . ومدرسة التحليل النفسي هي اقرب المدارس الى الرأى الذى ندين به في نقد الادب ، ونقد التراجم ، ونقد الدعوات الفكرية جمعاء ." (٢)

وقد فضل مدرسة " النقد السيكولوجي " على سائر مدارس النقد ، لانها - كما يرى - المدرسة التي يستغني بها عن غيرها ، دون ان نفقد من جوهر الفن او الفنان المنقود (٣) غير ان الدور الاهم الذى لعبه العقاد كان في مجال التطبيق في كتابه " ابو نواس " . *

---

١) احمد كمال زكي ، المرجع السابق ، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

٢) عباس محمود العقاد ، دراسات في المذاهب الادبية والاجتماعية (القاهرة : دار الهلال العربي ، د . ت) ، ص ص ١١٢ - ١١٣ .

٣) عباس محمود العقاد ، يوميات ، باشراف عامر العقاد (دار المعارف بمصر ، (١٩٦٩م) ، ص ص ١٠ - ١٢ .

*) سنقف عند هذا الكتاب وندرسه في (الفصل الثالث) من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤) اما عز الدين اسماعيل فإنه ينفرد بين دعاة المنهج النفسي في نظرته الشمولية ، وتفهمه العميق لامكانات التحليل في ضوء المنهج النفسي . ولا غرو في ذلك ، فقد حصل عز الدين اسماعيل ثقافة سيكولوجية كبيرة ، وعرف نظرية فرويد ، بل وطالب كل ناقد ينشد القيام بمهمة تفسير الادب على اساس نفسي ان يعرف نظرية فرويد في التحليل النفسي .(١) وقد كان تطور الخط السيكولوجي عند عز الدين اسماعيل تطورا طبيعيا وغير مفاجيء ، كان ينبيء بمثل هذا التحول كتابه " الادب و فنونه " ، الذى اصدره سنة (١٩٥٥م) . ففي كتابه " الادب وفنونه " نجده يلزم جانب الحذر في حديثه عن التحليل النفسي للادب ، فلم يدع دعوة صريحة الى منهج نفسي في تفسير الادب ، ولكنه رأى ان من الممكن تفسير الادب على اساس نفسي ، " ذلك ان المجال الذى يمكن ان تستخدم فيه النظرية الفرويدية هو تفسير الادب ذاته ." (٢)

وتظهر بوادر الاتجاه الى هذا المنهج في تحليله لمطلع قصيدة ذى الرمة التي عابه النقاد على مطلعها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب
كانه من كلى مفرية سرب

فهو يلتمس العذر لذى الرمة ، ويرى ان الحكم على فساد ذوقه وقبح صوره لانه واجه الخليفة بهذه الصورة ، ظلم كبير للشاعر . ويطالب عز الدين اسماعيل ان ننظر في نفس ذلك الشاعر لاننا سنلتمس له العذر . فذو الرمة شاعر عاش في الصحراء وللصحراء ، وجاب فلواتها ليلا ونهارا بمفرده ، وسمع فيها عزيف الجن ، وعانى فيها ما يعانيه الوحيد في جوف الصحراء . فقد حدث له ذات مرّه ان كان في جوف الصحراء وقد اشتد به العطش ، فهرع الى قرابه يستسقيه ، فوجد أن الماء تسرب منه ، ولم يبق له ما يسد رمقه . وفي تلك الحال من العطش واللهفة الى من يزيل عنه هذا العطش ،

---

١) عز الدين اسماعيل ، الادب وفنونه (القاهرة : دار النشر المصرية ، ١٩٥٥م) ، ص ٧٣

٢) عز الدين اسماعيل ، المرجع نفسه ، المكان نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتذكر ذو الرمة ركبا قافلا في الصحراء يمده بالماء ، فيقول :

استحدث الركب عن اشياعهم خبرا
أم راجع القلب من اطرابه طـــرب

يقول عز الدين موضحا[1] : فاذا كان ذو الرمة يستفتح الخليفة بهذه الصورة فليس ذلك الا لان ذا الرمة قد اتى الخليفة وفي نفسه أنه سيقضي له حاجته ، وسيغدق عليه من عطاياه . إنه يشكو اليه ضياع زاده في صحراء تلك الحياة ، ونسربه منه وهو نفسي وحدته لا يكاد يتماسك او يجد له سندا او معينا . واذن فهي شكوى مرة تلك التي اراد اليها الشاعر ، وليست - كما زعم - تهجما على الخليفة ، وليست فساد ذوق كذلك .

ويبدو أن ثقة عز الدين اسماعيل بالمنهج النفسي أخذت تتزايد ، فاصدر كتابه " التفسير النفسي للادب "* سنة (١٩٦٢م) ، الذي كان تطبيقا عمليا لوجهة نظره في ذلك المنهج . وفي سنة (١٩٧٢م) اصدر كتابا آخر[2] قدم فيه دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة ، فكان يعرج على النواحي النفسية في تفسيره .

ففي تفسيره مسرحية الحكيم " يا طالع الشجرة " يطبق مفهوم فرويد للشخصية . فهو يرى ان شخوص المسرحية : الزوج والدرويش والمحقق ، ليسوا ثلاثة شخوص ، وانما يمثلون انسانا واحدا يتحدث الى نفسه . والحوار بينهم ليس الا نوعا من " المونولوج الداخلي " . وهؤلاء الاشخاص الثلاثة ليسوا الا تجسيما للمستويات الثلاثة المعروفة في التركيبة النفسية للانسان ، وهي مستوى الانا والهي والانا الاعلى : اى الشعور واللاشعور والضمير . فالزوج يمثل مستوى الشعور ، والدرويش يمثل مستوى اللا شعور ، والمحقق يمثل مستى الضمير . وكل ما يدور بينهم من حوار انما

---

١) الادب وفنونه ، ص ٨٦ .

*) سنقف عند هذا الكتاب في (الفصل الثالث) ندرسه دراسة متأنية .

٢) عز الدين اسماعيل ، روح العصر : دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة ، ط١ (بيروت : دار الرائد العربي ، ١٩٧٢م) ، ص ٢٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو " مونولوج " داخلي " للشخص نفسه : اى الزوج .

نواضح من موقف عز الدين اسماعيل ومما كتب ايمانه باهمية هذا المنهج . وواضح أن تفضيله لهذا المنهج جاء بعد دراسة وتخطيط ومعرفة وثقافة واسعة في علم النفس ، وخاصة التحليلي منه . وهذا يدفعنا الى القول : إن عز الدين اسماعيل يشغل مكانة خاصة ، ولا يقل دوره عن الدور الريادى لرواد هذا المنهج . وبعد ، فهذه هي الدراسات التي تمثل اتجاه الدعوة للمنهج النفسي وتطبيقه ، سنختار منها ثلاث دراسات نقف عندها في (الفصل القادم) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ارتأيت في هذا الفصل أن أدرس ثلاثة نماذج نقدية ، لثلاثة من النقاد المصريين ، ظهر عندهم تطبيق المنهج النفسي[1] بشكل واضح ومتميز عن غيرهم من النقاد . وقد حاولت أن أرى الى حد استطاع هؤلاء النقاد أن يتمثلوا ذلك المنهج في دراساتهم ، وماذا أضافوا في تقدمهم الى الحركة النقدية العربية ، وهل يمكن الاعتماد على ذلك المنهج في تحليل النصوص الادبية ، ودراسة الادباء . والنقاد الذين ظهر عندهم المنهج النفسي واضحا هم : محمد النويهي في " نفسية ابي نواس " وعباس محمود العقاد في "أبو نواس" ، وعز الدين اسماعيل في " التفسير النفسي للادب ".

وقد رأيت أن أدرس هؤلاء النقاد على النحو التالي :

أ . اقدم عرضا وتلخيصا لكل دراسة نقدية من هذه الدراسات .

ب. اذكر آراء بعض النقاد في تلك الدراسة .

ج . اناقش الناقد في دراسته بالمقارنة بآراء النقاد ، واقدم رأيا في تلك الدراسة .

---

١) اقصد بالمنهج النفسي منهج التحليل النفسي للادب الذي اعتمده علماء النفس في تحليل الادب ودراسته ، والذين يسلمون بأن الابداع الادبي ليس الا حالة خاصة قابلة للتحليل ، وان كل عمل فني ينتج عن سبب نفسي ويحتوى على مضمون ظاهر ومضمون خاف ، وهو انعكاس لنفس المؤلف ، ولاسباب قد لا يكون المؤلف واعيا بها حين ابدع عمله .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اولا :

محمد النويهي : "نفسية ابي نواس" (١)

أ. عرض وتلخيص :

جاء كتاب النويهي "نفسية أبي نواس" في اربعة فصول ، تحدث في الفصل الاول عما سماه "تعقد نفسية أبي نواس". ورأى ان تعقد نفسيته يكمن في موقفه من الخمرة، وحبه الشديد لها . ويتكون هذا الحب من عناصر شتى ، تولدت عن تكوينه النفساني الخاص ، وانسجمت انسجاما تاما مع مقومات شخصيته المتميزة . فالخمرة لم تعد مجرد شراب ، بل صارت مخلوقا ذا شخصية ، فردا له ذات قائمة بنفسها . وهذه الذات تأتلف مع ذاتية ابي نواس ، وتتصل باعماق نفسيته . وفي هذا الحب يكمن "شعور" من الوجد الجامح الجارف ، الذي يكتسح أمامه كل شيء ، ولا يأبه بلوم الناس:

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

وفي وصف ابي نواس للخمرة تكمن عاطفة " الشوق الحزين الآسي " ، يدفعها شعور الهزيمة والتسليم واليأس . وقد ظهر ذلك واضحا عندما حاول ابو نواس ان يقتلع ذلك الحب الطاغي من قلبه ، ولكنه كان سرعان ما يعود الى الخمرة مذعنا :

والراح أهواها وان رزأت ... بلغ المعاش وقلّلت فضلـــــي

---

١) محمد النويهي ، نفسية أبي نواس، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك خاصية أخرى من خواص هذا الحب ، وهي شعور الاجلال للخمرة ، فهي أثمن شيء في الوجود بالنسبة له ، إذ يجد فيها صفة " العظامة " . وتظهر هذه الصفة عند أبي نواس في سخطه على الذين يشربونها من السوقة الارازل ، لانهم يدنسون شرفها . ويقصر حق تناولها على الافاضل من الناس ذوي العقول الكبيرة ، والوقار الكامل :

ووقر الكأس عن سفيه فإن حقا لها الوقار

وينوقف النويهي عند هذه الدعوة الغريبة ، ويدرسها دراسة مفصلة ، فيخرج بنتيجة مفادها " ان شعور أبي نواس نحو الخمرة لم يقتصر على أنه أحبها واجلها وعدها شيئا نفيسا شريفا ، بل قد وصل شعوره نحوها الى درجة التقديس "(١) ويرى النويهي أن وراء هذا الحب دوافع نفسية باطنة دفعت ابا نواس الى هذا الموقف . ثم يربط بين نشوة الخمر ونشوة الدين في معظم الاديان - غير الدين الاسلامي - خارجا بنتيجة مؤداها :

" ان الخمرة مرتبطة ارتباطا شديدا بالتعبد وبالشعور الديني "(٢).

ويخلص النويهي من كل ما سبق الى ان ابا نواس اعتبر الخمرة سر الحياة . وانتهى الى الاعتقاد بأنها " روح " تضيف الى روح شاربها روحا جديدة :

قهوة تقرن في جسـ م ـمك مع روحك روحـــا .

وهي " روح الكرم " ، فأذا شربها احيت جسده الذي خنقته الهموم الثقيلة .

---

١) محمد النويهي ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتصل بعاطفة ابي نواس ظاهرة غريبة هي : " شعوره الجنسي نحو الخمرة ". فابو نواس أحس نحوها بأحساس جنسي ، فهاجت فيه شهوة المواقعة ، لا مواقعة النساء او الغلمان ، بل مواقعة الخمرة . فشرب الخمرة ارضاه ارضاء جنسيا (١). ويقول النويهي : " وهذا زعم سيدهش له الكثيرون ، وينكرونه ، ويسخرون منه ". وحتى يبدد دهشة المندهشين لهذا الرأى ، يؤكد ان الشعور الجنسي في الانسان اوسع ميدانا ، واطول زمنا مما يظن اكثرنا .

ويرى النويهي ان هذا الامر ليس غريبا ، فكثير من الشواذ يكتفون بالارضاءات الثانوية ويفضلونها على الارضاء المباشر . وهذا ما يسميه العلماء " الاستبدال الجنسي "(٢).

ويختم النويهي هذا الفصل متحدثا عن عاطفة غريبة زادت من تعقد نفسية ابي نواس سماها " عاطفة الحب البنيوى " . ويقصد بذلك انه احس نحو الخمرة احساس الولد نحو الام . ويتساءل النويهي متعجبا : " فأى نفسية عجيبة هذه التي تكتظ بهذه الاحساسات الغريبة "(٣). ويجيب قائلا :

> هذا ما نريد ان ندرسه حتى نفهم سر هذا التعقد ، ونرجعه الى اصوله الطبيعية والتربوية في الفصلين التاليين . ويمر الفصل الثاني بعنوان " الشذوذ الجنسي " .

---

١) محمد النويهي ، نفسية ابي نواس ، ص ٤٤ .

٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥ . ويقصد به اتخاذ بعض المنحرفين اشياء مادية يهيمون بها هياما جنسيا شديدا ، وتثير فيهم شهوة المواقعة الجنسية بمجرد ضمها ولمسها وشمها .

انظر : عبد المنعم الحفني ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، ج ١ ص ٣٠٦ .

٣) محمد النويهي ، المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

ويخصص " الفصل الثاني " للحديث عن شغف ابي نواس بالغلمان ، وتفضيله مواصلتهم على مواصلة النساء . وحين يحاول تفسير هذه الظاهرة يفرق بين انواع ثلاثة من الشذوذ الجنسي : نوع منها يسببه التكوين الجسماني الخاص للفرد ، ونوع تنتجه عوامل نفسانية ، ونوع ثالث تنتجه الظروف الاجتماعية . ويرى ان اقرب نوع ينطبق على ابي نواس هو الاضطراب الجسماني في طبيعة تكوينه . ويستشهد بما نقله القدماء في وصفه الجسماني : من رقة بشرته ، ونعومة جسمه ، ودقة اطرافه ، وجمال وجهه ، ورشاقة حركاته ، وحسن بدنه ، ولطف قده . ثم يحاول النويهي ان يبحث عن الاسباب والجذور التي كانت سببا في اضطراب نفسية ابي نواس ، فيجد ان هناك احداثا اثرت في حياته منها : وفاة والده وهو ما يزال طفلا صغيرا ، وزواج امه من رجل آخر . وهذا ما جعله ييأس من امه يأسا تاما ، ويقطع اى امل قد يكون استبقاه فيها . ومنا تولدت عند ابي نواس (الطفل) الغيرة الجنسية من هذا الرجل الغريب الذى يستحوذ على امه ، مما جعله يحس باشمئزاز شديد كلما فكر بالعلاقة الجنسية بين الرجال والنساء ، لانه أصبح يتمثل " أمه الخائنة " في كل انثى يلقاها وبذلك تكونت عنده عقدة نفسية في عقله الباطن [٢] هذا فيما يتعلق بأبي نواس الشخص او الانسان ، اما فيما يخص ابا نواس الشاعر ، فقد اثر شذوذه الجنسي في شاعريته ، فامتاز في غزله بالمذكر على سائر شعراء العربية من حيث الكم والكيف معا .

ويحاول النويهي أن يتبين الرابطة بين شعره الخمرى وشذوذه الجنسي ، فيرى أن انحرافه الى الغلمان يمكن تفسيره في كلمة واحدة هي التعويض [٣] .

---

١) محمد النويهي ، نفسية ابي نواس ، ص ص ٥٤ - ٩٩ .

٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ص ٦٤ - ٧٢ .

٣) التعويض : حيلة دفاعية يلجأ اليها الفرد ليغطي ضعفا او نقصا بان يغالي في اظهار سمة اقل نقصا او اكثر جاذبية ، او بأن يغالي في النشاط ليغطي عجزا . انظر : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعجز أبي نواس عن تحقيق اتصال جنسي مع النساء جعله ينحرف الى الغلمان دون أن ينسى تلك اللذة الطبيعية التي صدّ عنها . فظل يتحسر ويحن الى الاتصال بالانثى "فتخيل الخمرة انثى ، وخلع عليها صفات الانوثة المغرية المثيرة التي يجدها الرجال العاديون في المرأة"(١).

ويختتم النويهي حديثه مستشهدا بآراء علماء النفس الفرويديين الذين يرون أن بكل منا نزوعا باطنا خفيا الى عاطفة فاسقة Incest هي الاتصال الجنسي بالام . ويرى أن أبا نواس لم يستطع أن يتغلب عليه بسبب خيانة امه ، وهنا قدمت له الخمرة هذا الارضاء الذي يغنيه . فهي انثى ولكنها لم أيضا ، وهو يستطيع أن يواقعها فيرضي بذلك نزوعه الفاسق (٢)

ويخصص الفصل الثالث (٣) للحديث عن النشوة الدينية عند ابي نواس . فيرى أنه كان ذا عاطفة دينية عميقة ، وذا قدرة كبيرة على الانتشاء التعبدي العنيف . فأبو نواس لم يصدر في سلوكه عن تشكك حقيقي في الدين أو البعث أو العقاب أو الثواب ، وان حاول احيانا أن يخادع نفسه ويقاوم ايمانه العميق ، فكلها محاولات لتخدير ضميره الذي يؤنبه على سوء سيرته . يقول النويهي :

" إن الذي يسوقه الى هذا العصيان ضعف نفساني لا ضعف ايماني "(٤).

---

١) محمد النويهي ، المصدر السابق ، ص٩٢ .

٢) انظر : المصدر نفسه ، ص٩٧ .

٣) المصدر نفسه ، صص ١٠٠ - ١٣٩ .

٤) المصدر نفسه ، ص١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الضعف النفساني هو الذى جعل استجابته واحدة ، فمرة ينفعل باللذة انفعالا عنيفا ، ومرة ينفعل بالدين انفعالا عنيفا . والطاقة النفسانية التي ينفقها في الانفعال الاول هي عين الطاقة النفسانية التي ينفقها في الانفعال الثاني .

ويعلل النويهي قدرة أبي نواس على المزج بين العاطفتين : عاطفة الفسق والشذوذ ، والعاطفة الدينية العميقة ، بما يسمى " بظاهرة الارتداد النفساني "(١) فأبو نواس يرتد ارتدادا بدائيا آخر ، فيشبه السذج حين يخلطون بين نشوة الجنس الطاغية ، ونشوة الدين العنيفة في تعبد مزدوج . وسبب هذه الظاهرة يعود الى العقدة النفسية البدائية التي أصيب بها أبو نواس وعجز عن حلها . وبذلك توقفت نفسيته عن النمو ، ولم تصل مرحلة النضج ، التي يتم فيها اعتدالها وتوازنها ، بحيث يستطيع الفصل بين النشوتين . يقول النويهي :

" عجزت نفسية أبي نواس عن استيفاء نضجها فارتدت الى الاصل الغريزي القديم في تقديس الخمر ، وفي المزج بين الانفعال الديني والانفعال الجنسي ."(٢)

وفي الفصل الرابع (٣) يقف النويهي عند تناقض أبي نواس وتطرفه في الاستهتار الصارخ والورع . ويحاول تفسير هذا التذبذب والتأرجح بين النقيضين فيرده الى ما سماه " الاندفاع المستتر " لشخصية اختل توازنها . فهي تتأرجح تأرجحا عنيفا بين الكفرين . وفي هذا التناقض يجد أبو نواس لذة هستيرية حادة تكمن فيما يسميه النفسانيون " بالعرض " او التشهير بالنفس Exhibitionism (٤) .

---

١) الارتداد النفساني او الرجعي هو معاودة ظهور صفة كانت قد اندثرت ، ولم تظهر في عدد من الاجيال .

انظر : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، ج ١ ، ص ٧٥ .

٢) نفسية ابي نواس ، ص ١٣٧ .

٣) المصدر نفسه ، ص ص ١٤٠ - ١٧٢

٤) العرض : مظهر عصابي ، ووسيلة دفاعية يلجأ اليها المريض ليلفت انظار المشاهد اليه ، وليجبره على ان يشاهد ما يريد ان يظهره له .

انظر : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، ج ١ ، ص ٢٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الداء الوبيل يدفعه - في حميّة انفعاله العصبي - الى أن يجد لذة عنيفة في فضح نفسه والتشهير بها ، وهتك السر عن علته وعرضها على انظار الناس أجمعين . وهذه الظاهرة تدل على امتعاض المريض من مرضه ، وسخطه عليه وحنقه من ابتلائه به ، وعلى شعور بالخزي والاشمئزاز من نفسه . ولكنه وقد عجز عن مداواته يبذل جهدا عنيفا في مخادعة نفسه ، وايهامها وايهام غيره أنه راض بعلته مرتاح اليها ، بل فخور بها . غير ان مثل هذا التشهير هو في حقيقة الامر اعلان عن سخطه على عقدته الدفينة ، وبرمه بالتوائه لما لم يستطع له اصلاحا .

فهو يحول سخطه الى نفسه ويتلذذ بالانتقام منها باقسى انتقام يستطيعه .(١)

إن شعور أبي نواس العميق بالذنب هو الذي يركبه متن الشطط والتمادي ، مما جعله يحاول التخلص من التبعة الخلقية تخلصا تاما ، فيطلعنا بهذا على ظاهرة أخرى فيه يسميها الباحثون النفسانيون " الارتداد الى عدم مسؤولية الطفولة* "

---

١) محمد النويهي ، نفسية ابي نواس ، ص ١٤٨ .

*) عدم المسؤولية :

تعبير يستخدمه الطب الشرعي بمعنى قانوني ، على اساس اسقاط المسؤولية والذنب عن الشخص ، بسبب اصابته بنقص او اضطراب عقلي أو بسبب سن الطفولة .

انظر : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب. آراء النقاد :

لقي كتاب النويهي " نفسية أبي نواس " عند صدوره ردود فعل كبيرة ، فكتب عدد من النقاد ناقدين ومحللين تلك الدراسة ، وذلك المنهج في التحليل . وكان ممن تناول الكتاب بالنقد والدراسة الناقد السوداني الاستاذ زين العابدين حسين شريف . وقد اخذ على النويهي تحليله نفسية ابي نواس على ضوء المذهب الفرويدي وحده في تفسير جميع ظواهره واعتلالاته . (١)

وكتب الناقد السوداني محمد محمد علي نقدا لهذه الدراسة وصفه النويهي بانه

" نقد عصيف يقوم على دراسة متأنية وفهم عميق للكتاب ، ويتضمن ملاحظات ثاقبة ولمحات سديدة ."(٢)

كما تناول تلك الدراسة بالنقد والتحليل حسين مروه (٣) ، وطه حسين (٤) ، ومصطفى ناصف (٥) . ولاعطي صورة عن موقف هؤلاء النقاد ، اعرض آراء اثنين منهم يمثلان نموذجين مختلفين من الدراسة .

---

١) انظر : محمد النويهي ، " نفسية أبي نواس " ، ذيل الكتاب بالذي خصصه لمناقشة النقاد الذين نقدوا دراسته تلك . وقد نشرت الدراسة في (الرأى العام) السودانية بتاريخ ٣١ أغسطس ، ١٩٥١م .

٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .

٣) حسين مروة ، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، ص ص ٢٣٣ - ٢٦٣ .

٤) طه حسين ، خصام ونقد ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

٥) مصطفى ناصف ، دراسة الادب العربي ، ط٢ (دار الاندلس ، ١٩٨١م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) حسين مروه :

يعتبر حسين مروة من أشد النقاد رفضا لمنهج التحليل النفسي في النقد الادبي ، وخاصة ماكتبه العقاد في [ابو نواس] ، وما كتبه النويهي في (نفسية أبي نواس) . فهو يرى أن النويهي وقع في خطأ الاحكام المطلقة دون أدلة منطقية . ومن هذه الاحكام والاستنتاجات (١) :

أ ، حكمه بان أبا نواس خص الغلمان بحب لا زيف فيه ، وأن شعره في النساء مجرد كاذب .

يتساءل حسين مروة قائلا : كيف يمكن التسليم الجازم بهذا كله ، وقد ثبت من سيرته ومن شعره أنه أحب بعض النساء حبا صادقا ، كما كان حبه لجنان باعتراف المؤلف نفسه(٢) ؟

(ب) استنتاجه أن نفور أبي نواس من النساء يعود إلى كراهيته للانثى بسبب أمه الخائنة .

يرى حسين مروة أن ظاهرة تخيل الانثى في الخمرة ، او تخيل الخمرة أنثى ، وخلعه عليها صفات الانوثة هي ظاهرة تصلح دليلا على عمق ارتباطه الوجداني والجنسي بالانثى وليس العكس . ويؤكد أن مجرد الحكم بان ميله الى الغلمان كان تعويضا عن الانثى يناقض الحكم بكون الشذوذ الجنسي قائما في تكوينه النفسي ، ويدل على أصالة حب الانثى عنده .

(ج) حكمه على أبي نواس بالنظر الى أمه بوصفها خائنة لبنوته .

يرفض حسين مروة هذا الحكم ، ويتساءل قائلا : كيف يحكم المؤلف حكما مطلقا على أبي نواس بالنظر الى أمه بوصفها خائنة لبنوته وهو الذي يخاطب حبيبته بمثل هذا البيت :

لا تفجعي أمي بواحدها لن تخلفي مثلي على أمي

---

١) انظر : حسين مروة ، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، ص ص ٢٤٢-٢٤٦

٢) المرجع نفسه ، ص ٢٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول حسين مروة معلقا :

" ان هذا البيت أدل على عمق عاطفة البنوة وحب الام في نفسه ، وعلى شدة ارتباطه بها ، وحرارة احساسه بهذا الارتباط ." (١)

(د) يرى مروة أن النويهي أفاض في الكلام عن شيوع الشذوذ الجنسي في بيئة أبي نواس وعصره . وذكر اسبابا اجتماعية معقولة لانتشار الانحلال الخلقي في بيئة معينة . وكان من الصحيح أن يعلل شذوذه بالعامل الاجتماعي دون ان يتكلف كل ذلك الجهد والتمحل ، فيرد شذوذه الى العامل النفساني ، الذى يتصل " بالعقل الباطن " و " عقدة الام " .(٢)

وحسين مروة - اذ يرفض هذا التفسير - يرد المجاهرة عند ابي نواس الى العامل الاجتماعي . فهو يؤكد أن المصدر الحقيقي للانحلال الشائع في العلاقات الانسانية والاجتماعية هو بيئة الشاعر وعصره ، وليس " العقل الباطن " . (٣)

---

١) حسين مروة ، المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .
٢) الموجع نفسه ، ص ٢٤٦ .
٣) انظر : المرجع نفسه ، ص ٢٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصطفى ناصف :

يمثل مصطفى ناصف موقفا آخر يختلف عن غيره من النقّاد . فهو لم يرفض منهج التحليل النفسي برمته ، ولم ينكر فضل فرويد على العلم والفكر والنقد الادبي . بل هو يرى ان فرويد أمدنا بافضل اساس لتناول التحليل النفسي شؤون النقد الفني .(١) ولكنه يرفض تفسير النويهي وتحليله شخصية ابي نواس، ويرى ان النويهي اكتفى بالمضمون النثرى او العقلي للشعر ، وقدم لنا ما نبتغيّ من شهادة على التعويض الذى يلتمسه ابو نواس . وعلى هذا يصبح الشعر مرآة لاحاسيس ابي نواس، ونعود لا نهتم بهذا الشعر الا من حيث هو معرفة للخمر .(٢) وبدلا من ذلك يطالب مصطفى ناصف بان يدرس شعر ابي نواس عن الخمر بوصفه معرفة جمالية للخمر . كما يطالب بان يعزل العمل الادبي عن شخصية صاحبه ، ذلك ان النقد الجمالي يتجه نحو الموضوع ، وهذا التعويض يتجه بنا الى داخل نفس ابي نواس المليئة بالحرمان .(٣) ويرفض ان يشرح العمل الفني على انه حاول الفنان ان يعبر عن نفسه . وانما يطالب بأن ينظر الى العمل الفني على انه نظام لا شخصي مغلق ينطوى على نفسه فقط . ويطلب من الناقد ان يتذكر انه امام عمل فني لا امام تجربة شخصية .(٤) فهو لا يرفض تفسير النويهي ولا يبقيه ، ولكنه يرى ان هذا التحليل لا يهمنا البتة ، ولا يفيدنا في الدراسة الفنية لشعر ابي نواس، فمن الممكن فهم شعره دون العناية بشذوذ صاحبه .(٥)

---

١) مصطفى ناصف دراسة الادب العربي ، ص١٣٧ .

٢) المرجع نفسه ، ص١٥٤ .

٣) المرجع نفسه ، ص١٥٥ .

٤) انظر : المرجع نفسه ، ص١٤٨ - ١٥٠ .

٥) المرجع نفسه ، ص١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ج) مناقشة النويهي :

رأيت ان اقسم حديثي على مرحلتين :

الاولى :

أن أناقش آراء النويهي في ابي نواس مقارنا اياها ببعض الآراء النقدية لكل من حسين مروة ومصطفى ناصف .

الثانية :

ان اقدم وجهة نظري الخاصة في موقف ابي نواس .

أولا :

مناقشة النويهي :

١ . موقف ابي نواس من الخمرة :

أ) نحن مع النويهي في أن أبا نواس أحب الخمرة حبا غير عادي ، ونظر اليها نظرة احترام وتبجيل ، وعدها من النفائس . ولكننا نرى أن الخمرة لم تعد بالنسبة له هدفا لتحقيق لذة مادية ، بقدر ما كانت تعبيرا عن موقف فكري فلسفي من الحياة والمجتمع . فالحياة قصيرة ، ولا تستحق ان يقف الانسان امامها دون ان ينال من لذائذها ، ودون ان يغتنم الفرصة قبل فوات الاوان . فهو ليس الا نموذجا لاقصى ما انتهت اليه الابيقورية في عصر من ازهى عصور الحضارة الاسلامية .(١)

لقد ارتفع ابو نواس بالخمرة المادة الى الخمرة الفكرة عواطل من خلالها على الوجود (٢) والزندقة الفكرية . حتى ان خمرته تعتبر ثورة على كل القيم الفكرية والاجتماعية والاخلاقية .

---

١) انظر : " ابونواس : حياته من شعره " ، ط ١ ، بيروت ، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ م ، ص ٧٢ .

٢) انظر : ساسين عساف ، الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع ابي نواس ، ط ١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٢ م ، ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب) ويتصل بالخمرة اتصالا مباشرا استخدام أبي نواس بعض العبارات مثل "روح الكرم" و"حياة الكرم"، و"دم الكرم"، وغيرها من العبارات التي اعتبرها النويهي دليلا على تقديسه للخمرة .

ونحن نرجح ان يكون استخدام مثل هذه العبارات نابعا من ثقافة ابي نواس، ودراساته للاديان المختلفة، لا سيما وانه تثقف بكل ثقافات عصره . فقد عاش ابو نواس في العراق، ملتقى الملل والنحل والمذاهب المتعددة، وتربى فترة بالبصرة التي كانت محطة للغات اربع : اليونانية، العربية، الفارسية، والسريانية . اضف الى ذلك ما يروى عنه من حذقه للقرآن الكريم، واتقانه علم الدين، واقباله على الكلام والجدل، وطلبه الحديث (١) ومما يدعم رأينا هذا ان معظم هذه العبارات كان يطلقها علماء الاديان المقارنة بأعتراف النويهي نفسه .

ج) أما القول بأن ابا نواس احس نحو الخمر بأحساس جنسي، فهذا حكم عام ليس هناك ما يدعمه . فتسمية الخمرة بأسماء "بكر" و"عذراء" ليست دليلا كافيا على مثل هذا الحكم الكبير . فقد يكون هذا من باب التشبيه البلاغي ليس الا، وقد اشتهر شعراء العربية بذلك ويضاف الى ذلك ان هذا القول يناقض ما سبق واكده النويهي من ان ابا نواس كره المرأة وصد عنها بسبب علاقة امه الخائنة . فكيف يمكن ان يتخيل شيئا من المفروض ان يقمعه ويكبته لانه يثير اشمئزازه ؟ وقد يكون اقرب الى منطق حياة أبي نواس والى منطق التحليل النفسي، ان يرد تلك العبارات الى عقدة الجنس الاخر عنده . تلك العقدة التي زرعتها في نفسه جنان، اى عقدة العجز عن ممارسة الجنس . وبسبب ذلك العجز حاول ان يجعل اشياء الكون المتنافرة تتلاقى وتقيم علاقات جنسية فيما بينها فتفشل : (٢)

زوجتها الماء كي تذل لـــه فا متعضت حين مسها الذكـــر

---

١) انظر : "أبو نواس حياته وشعره"، ص ٣٩ .

٢) انظر: ساسين عساف المرجع السابق، ص ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د) أما القول بأن أبا نواس احس نحو الخمرة احساس الولد نحو امه او ما سماه بالحب البنيوي ، فالابيات التي استشهد بها لا يمكن ان تكون دليلا قاطعا على انه اعتبر الخمرة ابنا . وعلاوة على ذلك فأن لنا وجهة نظر في هذه الابيات التي ساقها النويهي ليدلل بها على ما سماه بالحب البنيوي . فالابيات تقول :

قطربلي مربعي ولي بقرى الـ	ـكرخ مصيف وامي العنـ
ترضعني درّها وتلحفنـ	ـظلها والمجير يلتهب
فقمت أحبو الى الرضاع كما	تحامل الطفل مسّه السغب
توجأت خمرها بشبا الـ	ـأشفى فجاءت كانه لهب

فهذه الابيات لا تشير الى واقع ابي نواس بقدر ما تشير الى حقيقة الشاعر الطفل . فالخمرة عنده بديل المرأة الام ، وليس المرأة المعشوقة . انه بحاجة الى حليب الامومة كما هو واضح في البيت الثالث ، ولكنه يشعر في غراغ الامومة ، فما كان منه الا ان سعى الى الخمرة لملء ذلك الفراغ . انه يتحامل لينعلق بصدر امه حتى يرتوي ، فلا يجد الا الخمرة تتوجأ لاحتضانه ، فتطفيء فيه رغبة الاشتهاء (١) .

---

١) انظر : ياسين عساف ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ . عجز أبي نواس عن مواصلة النساء ، وتفضيله مواصلة الغلمان :

أما أن أبا نواس كان عاجزا عن مواصلة النساء ، فهذا مما لا نستطيع ان نثبته من خلال شعره . إذ ما الدليل على ذلك ؟ وبالمثل فأنه ليست لدينا اية دلائل مادية ملموسة تؤكد لنا انه كان يفضل مواصلة الغلمان على النساء . ربما كانت هناك بعض القصائد التي تشير الى انه تغزل بالغلمان تغزلا ملفتا النظر ، فهذا صحيح ، ولكنه ليس دليلا على هذا الاستنتاج . اننا نرى ان ظاهرة الغزل بالغلمان لها اكثر من سبب . ولعل اهم تلك الاسباب الاحتكاك الحضاري بين الفرس والعرب . (١) فقد نتج عن ذلك الاحتكاك لون من الوان الانحراف والشذوذ في السلوك . فالتعقيد الحضاري استتبعه تعقيد في اللذائذ : فالساقي غلام متخنث ، اوغلامة متشطرة .(٢)

٣ . النشوة الدينية :

أما القول بأن ابا نواس كان ذا عاطفة دينية عميقة ، وذا قدرة كبيرة على الانتشاء التعبدي العنيف . وانه ملك عاطفتين متناقضتين أشد ما يكون التناقض فهذا قول غير دقيق . ونحن اولا لا نستطيع ان نعرف فيما اذا كان ابو نواس يتمتع بضعف نفساني الا اذا عرضناه على طبيب نفساني . وثانيا ان موقف ابي نواس يدل على جرأة كبيرة لا يتمتع بها الا اصحاب النفوس القوية . فأن يدعو الانسان الى اتجاه الفضيلة امر سهل ، اما ان يدعو الى الرذيلة فهذا يتطلب شخصا يتمتع بقوة نفسية كبيرة . (٣)

---

١) انظر : "أبو نواس : حياته وشعره ، ص ٥١ .

٢) انظر : ساسين عساف ، المرجع السابق ، ص ٩٨ .

٣) انظر : " أبو نواس : حياته وشعره" ، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القول بأن ابا نواس مصاب بظاهرة " الارتداد النفساني " فهذا ليس بمقدور اى انسان ان يثبته ، لان ذلك يتطلب معرفة أجداد أبي نواس ، ومعرفة خصائصهم الجسمانية . ونحن لم نر اباً نواس ، وكل ما هنالك اننا قرأنا اخباره واشعاره ، وليس لدينا اية اثباتات مادية ملموسة .

ومثلما لا نوافق النويهي على كثير مما قاله عن ابي نواس ، كذلك فأننا لا ننكر العامل النفسي ، أو قبل العوامل النفسية التي اثرت في فن ابي نواس ، ولكننا نرى انه ليس العامل الوحيد . وبالمثل فاننا نرفض تفسير حسين مروة الذى يرد انحرافه الى العامل الاجتماعي ، وان كنا لا ننكر ذلك العامل . ولكنه ليس العامل الوحيد . وشاهدنا على ذلك ان ابا نواس وابا العتاهية شاعران عاشا في البيئة نفسها ، ولكنهما يمثلان اتجاهين متناقضين لعصرهما "أشد ما يكون التناقض"(١) .

اما وجهة نظر مصطفى ناصف فواضح انها ترتد الى وجهة نظر مدرسة " الفن للفن " ، التي ترى ان وظيفة الادب هي تحقيق قيم استاطيقية مجردة معزولة عن جميع القيم الاخرى ، وعن الاديب المنتج نفسه ، وعن ظروفه الاجتماعية المحيطة به .

وجهـــة نظـــر :

واضح ان النويهي يطبق قواعد علم النفس على شخص امامه ، ولا يدرسه دراسة داخلية : اى من خلال ادبه . فهو يقرأ ابا نواس وفي نفسه شيء ، وهذا الشيء يحاول قسره عليه . اننا نرى ان عوامل عديده تضافرت لتجعل من ابي نواس تلك الصورة التي رأيناه عليها . وهذه العوامل منها ما هو اجتماعي : كالتعقيد الحضارى الذى وجد في العصر العباسي ، ومنها عوامل نفسية اثرت في حياته ، ومنها عوامل فنية . فقد كان ابو نواس من زعماء التجديد في الشعر ، فصح

---

١) انظر : " أبونواس : حياته وشعره " ، ص ٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الشعراء الذين يبدأون قصائدهم بالوقوف على الاطلال ، وبكاء النوى والاحجار ، وطلب اليهم ان يصفوا انفسهم ، وان يشعروا بواقعهم .(١) كذلك فقد وجد ابو نواس في عصر المتناقضات في كل مناحي الحياة : السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية . فكانت الفوارق الطبقية واضحة اشد ما يكون الوضوح : فطبقة الحكام والقوّاد والولاة يقفون في اعلى السلم ، وطبقة الجواري والرقيق في اسفله . وقد ادى ذلك الى وجود موقفين من الحياة : زهد او نقمة على الاوضاع .(٢) وقد كان ابو نواس ممثلا لهذا التناقض الحاد . ولم لا يكون كذلك ؟ اليس هو الشاعر الحساس الالمعي الذي نهل من كل ثقافات عصره ؟ فهو بالتالي الاقدر على ان يكون شاهدا على ذلك العصر ؟ الا يمكن ان نقول : ان ابا نواس يقدم لنا وجها من وجوه الحضارة العباسية التي تكونت بفعل تفاعل الحضارات العربية والاعجمية ؟ حتى ظاهرة الشذوذ التي وجدنا صداها في شعره - وهي سمة العصر كله* - الا يمكن ان تكون شاهدا على ما افرزه التعقيد الحضاري الذي ولد منه التعقيد في اللذائذ والانسياب في مجاري الالتواء(؟)[٣] اننا نرى ان ابا نواس افاد من الحياة العباسية بكل تياراتها وتناقضاتها . وقد صادفت تلك الحياة من نفسه هوى ، فأستطاع من خلال كل المكتسبات ان يقيم عالما فنيا خاصا به ، تتردد فيه اصداء نفسه بكل رغباتها ، واحلامها ، وشهواتها حين عجز عن تحقيق تلك الرغبات . ولهذا كنا نجده مستسلما مرة ، ومتمردا اخرى : فسرعان ما يثور ويتحدى ، ثم سرعان ما يهدأ ويسلس قياده . وفي الحالين كليهما يبدع ونظل الخمرة سرا من اسرار ابداعه وعطائه .

---

١) انظر : " ابو نواس : حياته وشعره " ، ص ٢٣ .

٢) انظر : ساسين عساف ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .

*) لقد نشأ حب الغلمان في عصر ابي نواس ، وافرط الناس فيه ، وتسرب الى قصور بعض الخلفاء ، حتى ان زبيدة رأت هذا الميل في الامين ، فاتخذت له سربا من الجواري في زي الغلمان ، اطلق عليهن " الغلاميات " . فكان ابو نواس اصدق معبر عن هذا المرض الاجتماعي .
انظر : ساسين عساف ، المرجع السابق ص ٩٨ .

٣) ساسين عساف ، المرجع نفسه ، ص ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا :

عباس محمود العقاد : " ابو نواس : الحسن بن هانيء " :

أ . عرض وتلخيص :

فسر العقاد ما سماه "آفات ابي نواس" بالظاهرة النفسية المعروفة بالنرجسية Narcissism . ورأى ان في هذه الظاهرة تكمن آفته الكبرى ، وآفاته الصغرى التي تتفرع عنها .(١) وتحدث العقاد عن النرجسية ، فتتبع نشأة اللفظ والاصطلاح فارجعها الى اصلها اليوناني . واستنتج بأنها شذوذ دقيق يؤدي الى ضروب شتى من الشذوذ في غرائز الجنس ، وبواعث الاخلاق .(٢) وهي "آفة متصلة بالخيبوبة والنشوة والهيام ، وحب المصاب بها لملامحه وكلامه".(٣)

ويرى العقاد ان ابا نواس - في غزله بالمذكر تارة ، وغزله بالمؤنث تارة اخرى ، وفي الجمع احيانا بين ما يزعمه عشقا لاكثر من فتاة واحدة ، وما يزعمه لاكثر من فتى واحد - كان مصابا بالنرجسية .(٤)

ومما يتفرع عن النرجسية من آفات شعبتان : تسمى احداهما الاشتهاء الذاتي Auto- erotism ، وتسمى الاخرى التوثين الذاتي Auto - fetishism . والاشتهاء الذاتي يغلب على الحالات الجسدية ، ويصاحبه اختلال في وظائف الجنس مما يجعل المصاب به يديم النظر الى بدنه عاريا ، ويشتهي بدنه كأنه انسان غريب عنه . اما التوثين الذاتي فيغلب على الحالات العاطفية والفكرية ، فيتخذ المصاب به من نفسه وثنا يعبده ويعزه ويذله ، بل ويحبه كحب المرء لمعشوقه .(٥)

---

١) عباس محمود العقاد ، ابو نواس : الحسن بن هانيء ، دار الهلال ، د . ت ، ص ٢٧

٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧

٥) المصدر نفسه ، ص ص ٣٠ - ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤكد العقاد ان تلازم الاشتهاء الذاتي والتوثين الذاتي هما لوازم متفاوته في درجة الالتصاق بالآفة وتوابعها . ومن ابرزها واقواها لازمة العرض Exhibitionism ولازمة الارتداد Regression

وبعد ان يفيض العقاد في الحديث عن هذه الآفات وعن اعراضها ومميزاتها يقول :

" هذه اللوازم تنطبق على ابي نواس في خلائقه الاولية ، وخلائقه النبعية ، وتفسر جميع احواله حيث لا يفسرها ضرب آخر من ضروب الشذوذ في المسائل الجنسية ." (١)

ويستبعد ان تكون آفة " حب الانسان لجنسه " Homosexuality ، والصروف عن الجنس الاخر تنطبق عليه ، لانه يغازل الجواري كما يغازل الغلمان . ويرى ان هذا النوع من الشذوذ لا يفسر حالته ، بل يزيدها تعقيدا وابهاما عند البحث عن اسباب النزعة ومواضع الزيغ فيها . وانما تفسرها النرجسية وما طبع عليه المصابون من اختلاف الهوى ، حسب اختلاف التلبيس والتشخيص (٢)

وتنطبق على ابي نواس لازمة اخرى هي لازمة " العرض والاظهار " . ويقصد بها محاولة لفت الانظار الى اساليب يقوم بها المصاب . ويرى ان هذه اللازمة تنطبق على شعر ابي نواس في الخمريات والخزل والمجون . ولهذا السبب كان ابو نواس يغفل الشيء ونقيضه في آن واحد . وليست النرجسية عنده حالة طبيعية ، ولكنها حالة منحرفة " ولد ببعض اعراضها ، وجاءته الاعراض الاخرى من البيت والمجتمع والعصر الذي نشأ فيه سائر حياته . " (٣)

---

١) عباس محمود العقاد ، المصدر السابق ، ص ص ٣٠-٣١ .

٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

٣) عباس محمود العقاد ، المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعتمد العقاد على آراء القدماء في وصفهم لابي نواس من انه كان حسن الوجه، رقيق اللون ، أبيض حلو الشمائل ، ناعم الجسم . ويرى ان هذه الملامح تمثل صورة نرجسية للحس والعيان قبل النرجسية التي يدور عليها بحث علماء الامراض النفسية (١) " فالبياض والنعومة والملاحة والشعر المتهدل أشبه ما تكون بملامح الفتى نرجس ."

ثم يقف العقاد عند خمريات ابي نواس ، فيؤكد انها تفيض بدلائل العقدة النفسية ومركب النقص ، الذى يساوره من انتسابه الى كل من أبويه . فهو يشرب الخمرة لانها شراب الملوك ، او الشراب العريق الذى عاش مع اجداده الاكاسرة والقياصرة فيستريح الى شربها ، حيث لا فخار بالآباء والاجداد بين الندامى الذين يهابونه ويتذللون بين يديه .

بعد ذلك يتحدث العقاد عن الطبيعة الفنية عند ابي نواس ، فيرد كل شعره - سواء أكان في الغزل أم النسك أم التوبة - الى ما سماه بظاهرة " العرض الفني " . ويرى ان العرض الفني هو قوام شعره ، فهو لا يهمه ان يتغزل او يرثي او ينظم في النسك والحكمة ، وانما يهمه ان " يعرض " من طويته " دورا مسرحيا " يلفت النظار . وكل عروضه الفنية هي مسرحيات تتميز بالموضوع ، ولكنها تتساوى في صبغة واحدة ، هي صبغة التمثيل (٢)

ثم يعرض للحديث عن ظاهرة الغزل عنده ، فيستبعد ما قيل عنه من شذوذ يستلهم الشغف بأبناء جنسه دون غيرهم . ويرى ان طبيعته الجنسية تشتبه بكلا الجنسين وتتشكل بهذا الشكل مرة ، وبذلك الشكل مرة اخرى ، على حسب غوايات الطبيعة النرجسية (٣) ويؤكد ان المدار في غزله جميعه يركز على الصورة التي يشخص بها نفسه في ذات معشوقه أو معشوقته على دأب النرجسيين . وهذا كله يندرج تحت ظاهرة العرض والتشخيص .

---

١) عباس محمود العقاد ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .
٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .
٣) المصدر نفسه ، صص ١٣٧ - ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأى طه حسين :

كان طه حسين قد كتب مقالا بعنوان " اسراف " نقد فيه دراسة النويهي . ولما صدر كتاب العقاد ، كتب مقالا آخر بعنوان " بؤس ابي نواس " ، فاعاد الحديث مختصرا عن رأيه في كتاب النويهي . ثم تحدث عن كتاب العقاد " ابو نواس " فقال :

" واما كتاب الاستاذ العقاد فالامر فيه مختلف ، فهو قبل كل شيء لم يتكلف من الشطط ما تكلف النويهي ، ولم يكد ينأى عن مذهب بعينه من مذاهب الدرس الادبي ، وهو التماس الشاعر في شعره "(١) .

ويرى طه حسين ان مذهب العقاد في هذا الكتاب مذهب قديم جديد ، كان القدماء يسمونه الاعتداد بالنفس ، وما زال المحدثون يسمونه كذلك ايضا ، ثم أخذ بعض الادباء الاوروبيين يسمونه النرجسية . وهو بذلك لم يبعد عن مذاهب الادباء في حديثه عن النرجسية ، ولكنه غلا غلوا شديدا في تعمقها على مذهب المحللين النفسيين "(٢) .

وكان مما اخذه طه حسين على العقاد في هذه الدراسة ، اسرافه في الحديث عن الغدد وتأثيرها في الحياة النفسية للناس . فالعقاد لم يمتحن غدد ابي نواس حتى يجري فيها على مذهب المحللين النفسيين . " وفرق بين تحليل الغدد والاجسام كلها ، وبين تحليل الكلام الذى قاله الشاعر ، والكلام الذى قاله الرواة "(٣) .

ويقف طه حسين عند النتيجة التي توصل اليها العقاد ، وهي أن أبا نواس غلا في الاعتداد بنفسه ، وفتن بها كما فتن النرجس بصورته في الاسطورة القديمة ، فيؤكد ان الاعتداد بالنفس شيء طبيعي جدا عند الشعراء . فقد كان اعتداد بشار بن برد بنفسه اكبر من اعتداد ابي نواس . كما ان المتنبي تجاوز في الاعتداد بنفسه الحد الذى وقفت عنده كثرة الشعراء . وكان ابو العلاء معتدا بنفسه .

---

١) طه حسين ، خصام ونقد ، ص ٢٣٦ .

٢) طه حسين ، المرجع نفسه ، ص ٢٣٧ .

٣) طه حسين ، المرجع نفسه ، ص ٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويختم طه حسين رأيه في ظاهرة الاعتداد بالنفس قائلا :

" وفي كل شاعر نصيب من الغرور ، وتجويد الكلام نفسه يغري الشعراء بأظهار هذا الاعتداد ، لا لانه من حقائق نفوسهم دائما ، بل لان الكلام يواتيهم فلا يقدرون على دفعه "(١)

مناقشة العقاد :

لا شك أن كتاب العقاد " ابو نواس " يعتبر خطوة متقدمة وجريئة تتقدم كتابه " ابن الرومي " من حيث التحليل على ضوء المنهج النفسي . ويبدو العقاد في منهجه قريبا من منهج الناقد الفرنسي شارل مورون * الذي كان يهتم في تحليله بالاثر الادبي بصورة جوهرية ، ويحاول ان يكتشف في النصوص وقائع وعلاقات خفية لم تكشف . فالعقاد يحاول ان يجد صورة لابي نواس في شعره فيتتبعه تتبعا نفسيا في كل اطوار حياته ، ابتداء من طفولته وحتى شيخوخته .

فالعقاد لم يقف عند عامل واحد أثر في التكوين النفسي لابي نواس ، وانما تحدث عن كل العوامل : من التكوين الجسدي ، والبيت ، والمجتمع ، والعصر السياسي والثقافي . وهذا يدل على نظرة شمولية تستوعب كل صغيرة وكبيرة في حياة الشاعر المدروس . حتى ان تفسير تناقض ابي نواس وتطرفه بين كل الاتجاهات : من غزل ، ورثاء ، وزهد ، وغير ذلك ، يبدو فيه تلك النظرة الشمولية عند العقاد . فهو يرد ذلك التناقض الى ظاهرة "العرض " .

غير اننا نأخذ على هذه الدراسة اغراقها في الحديث عن بعض مفاهيم علم النفس ومصطلحاته : كالاشتهاء الذاتي ، والتوقين الذاتي ، والتلبيس ، والتشخيص ، وغير ذلك مما لا مجال له في دراسة شاعر كأبي نواس .

---

١) طه حسين ، خصام ونقد ، ص ٢٤٢ .

*) ناقد فرنسي معروف ، وهو صاحب منهج النقد النفسي او منهج النقد القائم على التحليل النفسي والمسمى Psycho Critique .
انظر : سامية احمد اسعد ، في الادب الفرنسي المعاصر ، ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتصل بهذه القضية أيضا ، اغراق العقاد في الحديث عن قضايا ليست في صلب دراسته ، بل لا تمت لها بصلة . فمثلا حين تحدث عن عصر أبي نواس عرض للحديث عن الحركات التي أثرت في جسم الدولة العباسية . وكان يمكن أن يكتفي بذلك حتى يحيط القارئ بالجو الذى عاش فيه أبو نواس ومدى تأثير تلك البيئة على نفسيته . لكننا نجده يستفيض في الحديث عن البوهيميين والنور والزط . ثم يتتبع الزط فيتحدث عن اصل الكلمة من أين جاءت ، ثم ماذا كانوا يسمون ، وما هي أساليبهم في العمل ، واين نزلوا ، وكيف وصفهم ابن خلدون ، و ... و ... الخ (١) .

وهذا ايضا ما فعله في الحديث عن الفوارق بين الجنسين ، وعن التوالد ، واسرار الغدد ، وعن الشيطان ومذهب فرويد وغير ذلك . فكل هذا وغيره مما يجعلك تحس بانه مقحم في دراسته شعر أبي نواس . وارى انه كان اجدى للعقاد أن يدرس بعض الظواهر الفنية في شعره : كظاهرة الغزل بالمذكر ، وظاهرة وصف الخمرة ، وغيرها من الظواهر ، ثم يحاول أن يجد لها تفسيرا مقبولا من خلال المنهج النفسي .

أما فيما يتعلق باعتماد العقاد على ما رواه ابن منظور في أخبار أبي نواس عن أوصافه الجسمية ، واتخاذها دليلا على نرجسيته ، فهذا استنتاج غير علمي وغير دقيق . فالاوصاف الجسمية لا يمكن أن تتخذ دليلا على نرجسية الفنان . حتى ان اقطاب علم النفس - ومنهم يونج - كانوا يرفضون ان ينظر الى تكوين الفنان الجسماني على انه يحدد شخصيته المبدعة . ويقول يونج :

"إننا لا نستطيع أن نفهم الفنان بوصفه فنانا إلا بالنظر الى عمله الابداعي" (٢) .

فالفنان أو الشخص المبدع يمثل ثنائية او مركبا من نزعات متعارضة . فهو من ناحية كائن بشرى له حياته الشخصية ، في حين أنه من ناحية أخرى عملية ابداعية لا شخصية (٣) .

---

١) انظر : عباس محمود العقاد ، المصدر السابق ، ص ص ٨١ - ٨٤ .

٢) C.G.JUNG , Ibid , 198

٣) انظر : زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن ، ص ص ١٧٩ - ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما فيما يخص وصف العقاد لابي نواس بالنرجسية ، فنحن نتساءل هنا :

هل صحيح ان ابا نواس كان نرجسيا ، مفرطا في حب ذاته ؟

واذا كان الامر كذلك فهل هذا الافراط في حب الذات هو الذي جعله فنانا ؟ ام ان ابداعه وفنه جعلاه مفرطا في حب ذاته ؟

وفي اجابتنا على هذه الاسئلة نستطيع ان نصل الى قرار بشأن نرجسية ابي نواس . فثمة فرق كبير بين الفنان الذي يستمد " نرجسيته " من بطولة عمله وابداعه ، وبين الحالم الذي يستمد تلك النرجسية من اعجابه الخاص بذاته نتيجة حلم يقظه كان هو فارسه (١) وعلى هذا فالفنان ليس نرجسيا بالمعنى المتداول للكلمة ، لانه لا يغرم بذاته ، ولا يصنع من نفسه بطلا كما يصنع الحالم باليقظة . ولكنها نرجسية محورة أو منقولة ، أو لنقل انها نرجسية ملغاة يعوضه عنها العمل الفني بنرجسية أرحب (٢) . ومن هنا يتبين لنا ان رغبة الفنان في كسب تلك النرجسية او في حب ذاته ، لا تفسر لنا قدرته على الابداع . فكثير من الناس نرجسيون ، يعشقون ذواتهم ، ولكنهم غير مبدعين .

واخيرا أود ان انبه الى ان العقاد ركز على شعر الغزل والمجون ، أكثر مما ركز على الجوانب الجاده في شعره . وكان حري بالدراسة ألا تهمل جانبا على حساب اظهار جانب آخر . فهناك جوانب جدية في شعره خاصة في زهدياته . فقد كان من كبار علماء عصره وكان يتمنى ان يحظى بمكان مرموق في دولة هارون الرشيد ، ولكن الحاقدين من معاصريه حالوا بينه وبين تحقيق تلك الرغبة ، فكان لذلك اثر كبير في نفسيته . كذلك فقد وصف ابو نواس بانه كان اعرف الناس ، حتى ان ابا يوسف الفقيه كان يود لو اخذ عنه أصول التشريع (٣) . فمثل هذه الجوانب الجدية كان يجب ان تدرس وان تؤخذ بعين الاعتبار ، لما يترتب عليها من شعور نفسي بالاحباط والفشل في تحقيق ابسط حقوق ابي نواس الاديب والعالم .

---

١) انظر : عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، ص ص ٣٢ - ٣٥ .

٢) انظر : عز الدين اسماعيل ، المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

٣) انظر : " ابو نواس : حياته وشعره " ص ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا :

عز الدين اسماعيل " التفسير النفسي للادب " :

درس عز الدين اسماعيل في كتابه " التفسير النفسي للادب " نماذج من الادب العربي والغربي في ضوء المنهج النفسي . فقد تناول نماذج شعرية من الحديث والقديم . ومن الادب المسرحي تناول مسرحية " هملت " لشكسبير ، ومسرحية " أيلم بلا نهايه " ليوجين أونيل ، ومسرحية " سر شهرزاد " لعلي احمد باكثير . كما اختار من الادب الروائي عملين روائيين هما : " الاخوة كارامازوف " لدستويفسكي ، و " السراب " لنجيب محفوظ .

وقد رأيت ان الوقوف عند كل هذه الاعمال امر لا تنهض به هذه الدراسة . فاقتصرت على الوقوف عند عمل واحد لكل لون من هذه الالوان الادبية ، بحيث يتسنى لي ان ادرس نموذجا شعريا ، وآخر مسرحيا ، ثم نموذجا روائيا .

١ . نموذج من الشعر المعاصر :

درس عز الدين اسماعيل قصيدة بعنوان " ثنائية ريفية "*.

وقبل ان يبدأ بتحليلها على المنهج النفسي يطالب القارئ بالاعتراف بحقائق علم النفس التحليلي ، لانه بغير الاعتراف بهذه الحقائق لا يمكن التقدم خطوة واحدة في هذا المنهج (١) . ويصف عز الدين اسماعيل منذ البداية ان القصيدة في ظاهرها صورة حواريّة بين زوج ريفي وزوجته ، تتناول الفرحة بحلول موسم الحصاد ، والتغني بالثمار اليانعة الغنية . وهذه الفرحة تعيد اليهما ذكريات حبهما القديم ، والموّال الذى كان يغنيه ذلك المحب الرومنتيكي لمحبوبته الشابة النضرة . وكيف ان ذلك كله انتهى بعد ان دفع مهرها وتزوجها . وبذلك اصبح للحب معنى آخر ، وتبلور شكله في ذلك العناء المشترك في فلح الارض وبذر البذور وريّها ، والجوع طوال العام ريثما تؤتى أكلها . ويستشهد عز الدين بقول الزوج في نهاية الحوار :

---

*) القصيدة للشاعر عبدة بدوى نشرت في مجلة " المجلة " ، العدد ٨٦، ص ٦٧ .

١) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، ص ١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحب لم يصبح حديثا أو هتافا في الصـــــدور
الحب فيما طرّزت كفاىّ في الحقـــل الكبيـــــــر
قد كان أمس حكاية تروى وأشواقـــا تـــــــدور
واليوم صار حديقة تلقى الغدير وتستديـــــــر
وتموّجا في القطن والصفصاف والقمح الوفيـــــر
حبي لـه جذر له ساق لـه ثمر منيـــــــــــــر (١)

يقول عز الدين اسماعيل :

" اننا حين ننعم النظر في هذه القصيدة تكشف لنا عن التجربة الجنسية بين الرجل والمرأة ، وعما يرافقها في الوسط الريفي من ملابسات ." (٢)

ويبدأ بتحليل عناصر الصورة الشعرية ورموزها المستمدة من الطبيعة والعلاقات القائمة بينها . ويرى ان اختيار هذه العناصر والرموز ، واقامة هذه العلاقات بينها ، له اصل بعيد في اغوار نفس الشاعر . وهذا الاختيار يلتقي بكثير من تجاربه الخبيئة في اللاشعور . ومن هذا المنطلق يبدأ عز الدين اسماعيل النظر في القصيدة ، فيقول :

" فالزوجة في مستهل القصيدة تقول : قد وافى الحصاد ."

وهذا يشير - حسب رأى عز الدين اسماعيل - الى ان الزوجة حامل ، وأنها أوشكت على وضع طفلها . وهذا الشيء لا بد ان يفرح له الزوج والزوجة لسببين هما : دلالة الانجاب بالنسبة لهما ، ولان ذلك سيعيد اليهما فرصة الاتصال جنسيا ، بعد انقطاع لفترة من الزمن . ومما يؤكد انقطاع هذه العلاقة ، قول الزوجة لزوجها :

---

١) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، ص ١٢٢ .
٢) المصدر نفسه ، المكان نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيني وبينك من اغاني حقلنا الملتف ســـور
أنا لا أراك فبيننا سد من الثمر المثيـــــر

يقول عز الدين اسماعيل :

"فالزوجة كانت ممتلئة البطن بالجنين : بالثمر المثيـــر
كما نسميه . وهي من اجل ذلك "لا تراه" ، اى لا تتصل
به جنسيا شأن الزوج والزوجة ."(١)

ثم يعود الزوج يتذكر كيف كان الخيال يعوّض عن تحقيق مالا يمكن تحقيقه عمليا قبل الزواج، او في فترة الحب ، حتى اذا ما تم الزواج كان ذلك فرصة لاشباع "الجوع" الذى عانى منه الحبيبان . وفرق بين الحيانين فعلى حين لونت المعاناة القديمة صورة القرية* بالجمود والقتامة ، صار من الممكن ان تدب فيها الحيوية ويسودها البشر بعد الزواج .

لقد صار من الممكن ان "تبذر البذور في الحقل" ، يقول الزوج :

جعنا بها لنسير للحقل المعرّى بالبـــذور (٢)

ثم تشير الزوجة الى استعادتها لتلك الذكريات حين تقول :

كم مسحت راحاتنا شعر السنابل في البكـــور

وهي بذلك تعبر عن سعادتها لتلك الذكريات . أما الزوج فقد كان ذلك العام قاسيا على نفسه فهو يصور تلك الفترة بقوله :

"قد كان عاما سرمديّا"

ثم يعود ليقرر تلك الحقيقة المؤلمة :

الحب فيما طرّزت كفّاى في الحـقل الكبيـــر

---

١) عز الدين اسماعيل ، المصدر السابق ، ص١٢٣ .

*) قرية الشاعر التي شهدت حبه .

٢) المصدر نفسه ، ص١٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتهي عز الدين اسماعيل الى القول :

" ان هذه القصيدة تتضمن تجربة مستخفية وراء صورتها الخارجية ، وتنطوى على حقيقة نفسية خطيرة ، هي ان الجنس في حياة الانسان هو مصدر سعادته وشقائه ، بخاصة بعد ان يتحول الحب الى شـــــــيء

" له جذ ر وله ساق وله ثمار " ." (١)

ويرى ان الشاعر نجح أيما نجاح في اتيانه بهذه الصور التعبيرية الظاهرية ، وفي قدرته على ان يخفي التجربة الكامنة وراء هذه الصور ويشي بها في الوقت نفسه . فقد استطاع ان يلائم بين حاجات التعبير النبيل والصورة الجميلة من جهة ، والحقيقة الصارخة من جهة اخرى . وهذا الشيء لم يصنعه الشاعر عن عمد ، ولكن اصالة التجربة وصدقها هو ما مكنه من هذه الملا ئمة غير المتعمدة . وهذه الملائمة بين عناصر التجربة والتعبير الجميل النبيل هي الخط الاساسي العريض في تحديد قيمة اى عمل فني . (٢)

---

١) عز الدين اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. نموذج مسرحي :

مسرحية " هملت " لشكسبير :

قصة تواني " هملت " في اخذ الثأر لوالده من عمه ، قصة حار فيها النقاد والدارسون . وكان مصدر الحيرة يتلخص في السؤال التالي :

ما هو سبب تردد " هملت " في اداء مهمته* الموكلة اليه ، بعد ان تحقق من صدق موقفه ؟

يعرض عز الدين اسماعيل لكل التفسيرات التي سبقته ولكنه يستبعدها ، ويصفها بانها " تحليلات لا تعدو ان تكون مجرد وصف لحالة " هملت " ، اكثر منها تفسيرا لازمته ."(١)

ويحاول ان يقدم تحليلا لحالة هملت في ضوء المنهج النفسي ، فيقول :

" فلنحاول إذن أن نتقدم خطوة اخرى ولنتقرب هذه المرة شيئا من طيبات مائدة " فرويد " ." (٢)

ويؤكد منذ البداية ان العمليات النفسية ليست نوعا واحدا ، ولكنها تنقسم الى نوعين هما : النوع الشعوري الذي تنتمي اليه العمليات العقلية المعيارية مثل الاحكام الاخلاقية والدينية والسياسية ، والنوع اللا شعوري الذي تتمثل فيه الرغبات المكبوتة ، التي لم يسمح بها العقل الواعي . وهذه الرغبات لا تندثر ، بل تظل تعمل في الخفاء ، وتؤثر بطريقة خفيّة في سلوك الانسان وموقفه من المثل .

وحين يطبق عز الدين اسماعيل هذا الكلام على " هملت " يجد انه كان يبدو في الظاهر راضيا كل الرضا عن اخذه بالثأر ، بل هو راغب في ذلك .

---

*) المقصود بالمهمة الموكلة اليه قتل عمه "كلوديوس" الذي قتل اباه واستولى على المملكة بعد ان تزوج الملكة "جروترود" ام "هملت" .

١) التفسير النفسي للادب ، ص١٤٩ .

٢) المصدر نفسه ، المكان نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن ثمة عمليات نفسية اخرى كانت تعمل في الخفاء ، فتشل هذه الارادة وتعطل رغبته في التنفيذ . فقد كان "هملت" يتمتع بحب أمه وهو في طفولته ، ولا بد ان يكون قد فكر في الاستئثار بحب امه ، وابعاد ابيه ، ذلك الابعاد الذى يتم عادة بالقتل أو الموت . غير أن الثقافة والتربية عملتا عملهما في انزال الأبوّة في نظره منزلة التبجيل . ومن اجل هذا كبتت تلك الرغبة القديمة ، حتى اذا ما قتل الاب عادت تلك الرغبة الى الظهور مستثارة بالحادث نفسه الذى نبهها . وحتى يستطيع " هملت " العاقل المهذب مقاومة تلك الرغبة وكبتها ، كان يحتاج الى نشاط عقلي زائد ، وهذا هو السبب في تواني " هملت " عن العمل الحاسم وتردده . (١) وحتى يقنعنا عز الدين اسماعيل بهذا الرأى يلجأ الى ثلاثة مواقف يلتمس في ضوئها تفسيرا للمشكلات الجزئية التي تبرز من خلال علاقة " هملت " بالشخصيات الرئيسية في المسرحية . واول هذه المواقف :

أ . علاقة " هملت " بأمه :

لقد ظهر " هملت " ناقما على امه وكان فظا معها ، حتى حين كان يصطنع الادب كان يمزجه بالسخرية اللاذعة . فهل كان حقا يكره أمه ؟

يرى عز الدين اسماعيل ان الملكة أحبت ولدها حبا شديدا ، وتعلقت به ، ولكنه استطاع ان يتخلص من ذلك التعلق الاوديبي بها عندما شبّ واكتسب من البيئة والثقافة مناعة ضد هذا الحب المريض . ولما اختفى ابوه عادت الرغبة القديمة الى الظهور ، فوجد نفسه على وشك الوقوع في ذلك الحب المحرم مرة اخرى . وبدأ يحس أن أمه صارت له أخيرا (٢) . وفي غمرة هذا الاحساس جاء عمه لينتزعها منه ، فشبّت في نفسه الغيرة ، فانقلب الحب الى كراهية . لقد كان الصراع بين شعور " هملت " ولا شعوره على النحو التالي :

---

١) انظر : عز الدين اسماعيل ، ص ص ١٥١ - ١٥٢ .

٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"كان " هملت " يرغب في امتلاك أمه ، لكن هذا الامتلاك يعني الفسق بالمحارم ، وهو ما يحرمه العرف والقانون ، فحاول كبت هذه الرغبة . ومن هنا لم يكن نفوره منها موجها ضد جريمتها مع عمه ، بل مع "هملت" نفسه . " (١)

ب. علاقة " هملت " مع عمه :

يرى عز الدين اسماعيل ان "هملت" كان يحب عمه ويكرهه في آن واحد . ولو انه كان يحبه فحسب ، او يكرهه فحسب ، لتغير الموقف ، وربما لاختفت المأساة بمعناها الحقيقي تماما . والدليل على ذلك انه لوكان يحبه فقط لا نتفت فكرة الثأر من نفسه ، ولوكان يكرهه فقط ، لما أحجم لحظة عن قتله . ولاثبات ذلك يلجأ عز الدين اسماعيل الى عبارة قالها "هملت" في المشهد الرابع من الفصل الثالث ، بعد أن قتل " بولونيوس " موجها الخطاب للقتيل :

" لقد حسبتك من هو أفضل منك " (٢)

يرى عز الدين ان وصف "هملت" لعمه الملك "كلوديوس" بأنه افضل من " بولونيوس " دليل على حبه له . وكان من الطبيعي ان يقول "هملت " :

" لقد حسبتك من هو أسوء وأحط منك "

وهو في الوقت نفسه يكرهه لانه اغتصب امه منه ، واستولى على الحب الذى كان يطمع فيه ، فذكره بشعور الذنب القديم ، الذى كان قد نسيه منذ ان تخلص من عقدته الاوديبية . (٣)

---

١) عز الدين اسماعيل ، المصدر السابق ، ص١٥٨ .

٢) المصدر نفسه ، ص١٦٠ .

٣) المصدر نفسه ، ص١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج . علاقة "هملت" بأوفيليا :

يصف عز الدين علاقة "هملت" بأوفيليا بأنها علاقة فيها تناقض . فمرة يظهر محبا لها متيما بها ، ومرة اخرى يبدو منصرفا عنها كارها لحبها ، بل قاسيا فظا معها . وقد كان حبه لها مناسبا لتطوره الطبيعي من الناحيتين الاجتماعية والفكرية . ولكن شعوره نحو امه عاد فانعكس نحو "اوفيليا" ، فصد عنها كما صد عن امه ، وانكر حبه لها . والدليل على ذلك الحب انه عندما وقف امام قبرها ، اعلن انه احبها اكثر من الف اخ شقيق . فهو كأنه يؤنب نفسه ويلومها على ان قتل حبها في نفسه . وهو بذلك " يمثل دور المحب الذى كان يود لو انه كانه ." (١)

---

١) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ص ١٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ . نموذج من الادب الروائي :

قصة السراب لنجيب محفوظ :

يرى عز الدين اسماعيل ان عقدة "اوديب" لا تكفي لتفسير قصة السراب ، على الرغم من ان كامل بطل القصة يبدو كارها لابيه ومحبّا لأمه . فالقصة فيها مواقف لا تكفي عقدة اوديب وحدها لتفسيرها . ولكن الجزء الاكبر في شخصية كامل تفسره لنا " عقدة اورست " (*) . ورغم الاختلاف بين احداث قصة السراب ، ومسرحية "آجاممنون" في الظاهر ، الا ان القصتين تنتهيان النهاية نفسها . فأورست قتل امه وكامل كان السبب في وفاة امه . صحيح انه لم يقتلها بيده كما صنع "أورست" ، لكنه يعرف ويقرر انه كان السبب المباشر في وفاتها (١)

ويبدأ عز الدين بالتعرف على شخصية كامل من خلال استعراض علاقاتها بالاخرين ، وعلاقتها بذاتها ، على النحو التالي :

أولا :

علاقته بأمه :

وهي العلاقة المحورية في القصة . ويبدو فيها ان الطفل كامل مفتون بأمه لا يطيق فراقها ، مثلما انها لا تطيق فراقه . فبعد ان استرد زوجها الطفلين الاخرين ، حشدت كل امومتها من اجله . وقد ظل كامل اسيرا لحب امه ، حتى بعد مرحلة متقدمة من السن ، تحت ستار الحب والعاطفة المتبادلة . (٢)

غير أن هذا الحب لم يرق فيما بعد لكامل فحاول أن يخرج من أسر أمه حتى ولو بالتمرد " ذلك التمرد الذي عرفت الام كيف تقمعه " . غير ان ذلك الحب لم يزل من نفس كامل ، وانما ظل يعمل في خفاء ويتطور الى مرحلته الخطيرة : مرحلة الرغبة في التخلص من الام (٣)

(*) اورست : شخصية اسطورية قديمة جعلها اسخولس بطلا للمسرحية الثانية من ثلاثية " آجا ممنون " ، المسماة " حاملات القرابين " .

(١) عز الدين اسماعيل ، المصدر السابق ص ٢٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦١ .

(٣) المصدر نفسه ، المكان نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتهي الصراع بين رغبة كامل ورغبة امه الى الضرورة الحتمية . فبعد موت رباب زوجة كامل انهارت كل القيم المعنوية المستمدة من الام ، والتي كان يمثلها في زوجته . فاندفع كامل ليواجه امه بصراحة ، فأخذ لها في القول ، ووقع كلامه من نفسها موقع الصاعقة ، تقول الام :

" شدّ ما يحزنني كلامك ! انك تقتلني بلا رحمة ! "

فصحت بها كالمجنون :

" اشمتي ما شاءت لك الشماتة ، ولكن إياك ان تتصوري اننا سنعيش معا . سانفرد بنفسي انفرادا أبديا . لن اعيش معك تحت سقف واحد ."(١)

ثانيا :

علاقته بزوجته :

يرى عز الدين اسماعيل ان حب كامل لرباب ليس الا دليلا على تأثر بالام ، وليس الا تأكيدا على تبعية الابن لها ، ودورانه في فلكها . وبذلك نقل كامل خضوعه وتبعيته بطريقة آلية الى امرأة اخرى ، يخضع لها في شخص الزوجة .

ويأتي الزواج ليتوّج بالفشل ، فقد حاول كامل مضاجعة زوجته غير مرة ، ولكنه كان يفشل . حتى ان هذا الامر يبدو مستحيلا بالنسبة لشخص يسعى الى الخلاص من سلطان الام . ذلك ان اختياره لرباب لتكون موضع حبه ، شيء املته الرغبة الدفينة المكبوتة في الحصول على امه . فرباب ليست الا تجسيما لامه ، واختيارا لا شعوريا لها . ومن هنا كانت مضاجعة كامل لرباب مستحيلة ، لان معناها تحقيق رغبته في الام نفسها ، وهي الرغبة التي طالما كبتت . ومما يؤكد هذا التفسير ان كامل سرعان ما انقاد للمرأة الشهوانية التي لا تشبه امه ، ونجح في الاتصال الجنسي بها يقول عز الدين اسماعيل : " ان عقدة الفسق بالمحارم هي التي حالت دون نجاح كامل في الاتصال جنسيا بزوجته ."(٢)

---

١) نجيب محفوظ ، السراب ، بيروت ، دار القلم ، د . ت ، ص ٢٤٦ .

٢) عز الدين اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا :

علاقة كامل مع ذاتـه :

لم يستطع كامل ان يحدث اى نوع من التوافق الاجتماعي والنفسي بينه وبين العالم من حوله خارج دائرة امه . وهذا واضح في عدم قدرته على التكيف مع الطلاب في المدرسة ، ومع زملائه في الجامعة ، واخيرا مع زملائه في العمل . لقد كان يتحاشى الناس ، ولم يكن يعرف كيف يلقاهم ، وكيف يتحدث اليهم . ويعود سر هذا العجز الى عقدة " أورست " . فقد كانت كل طاقته - شأن المصاب بهذه العقدة - موجهة الى ارضاء امه ، فظلت امه وجدها محور حياته وتفكيره واهتمامه [١] اما بالنسبة لابيه ، فقد اظهر الكراهية له منذ رآى صورته مع امه . ولما رآه لاول مرة عندما ذهب به جده اليه ، جفل من صورته ، واشمأز منها . وعندما لم يمد له يد المساعدة حين رغب ان يتزوج من رباب ، فكر في قتله . فهذا التناقض في شخصية كامل امر لا مبرر له . فقد كان من الممكن تشكيل البناء الفني على اساس ثورته الموجهة ضد امه وسيطرتها ، دون اقحام موضوع آخر هو قتل الاب [٢] ومن ثم كان التناقض في شخصية كامل " الاوديبية الاورستية " تعقيدا في تركيب هذه الشخصية لا مبرر له . ويستغرب عز الدين اسماعيل ان تكون شخصية كامل وليدة هذين النوعين من الحكم معا ، ويرى ان ذلك لا يعني سوى التمرد على هذين الاطارين الحضاريين اللذين تنقلت بينهما الحياة البشرية منذ القدم ، والبحث عن اطار جديد للحياة ، يتخلص فيه الانسان من رواسب حكم الاب وحكم الام معا [٣]

---

١) عز الدين اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

٣) المصدر نفسه ، المكان نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأم كامل تمثل الاتجاه المحافظ الذى فرضت في اطاره حمايتها على كامل ، بسبب ارتباطها بالماضي ، وعدم تطلعها الى المستقبل . اما كامل فقد اغرته هذه الحماية في البداية . لكن رغبته في التخلص من العلاقات الرسمية ، ورغبته في التحرر - وهي مظاهر التقدم والتطلع الى الجديد - اخذت تجتذب كامل مع مرور الزمن ، فحاول التخلص من اسرامه في النهايـــة . وبهذا لم يكن كامل مجرد رمز اجوف ، بل رمزا فياضا بالدلالة . ولم يكن شخصية تحركها يد الكاتب ، بل انسانا حيا يمثل مأساة انسانية من الطراز الاول (١) .

مناقشـــة عـز الديـــن اسماعيـل :

في هذه الدراسة التطبيقية التي قدمها عز الدين اسماعيل استفادة واضحة من حقائق علم النفس التحليلي . ولعل شمولية هذه الدراسة في تناولها لنماذج من الادب عربية وغربية ، امر ذو اهمية كبيرة يشير الى قدرة المنهج النفسي التحليلي على رصد خلجات الفنان والمبدع اللا شعورية . كما يدل على قدرته على الولوج الى ما وراء الخطوط وقراءتـــه قراءة واعية . وقد وفق عز الدين في اختيار النماذج الشعرية التي يجد فيها جزئيات ترتبط بمواقف كلية ، وتتصل اتصالا مباشرا باعماق قائليها في ضوء الاطار النفسي المقصودة . فالعمل الفني يشكل بمجموعه بناء كليا جاء نتيجة ارتباط جزئياته بعضها ببعض .

وواضح ان عز الدين اسماعيل في تحليله لا يزج بمصطلحات علم النفس ولا يقحمها في موضوع الدراسة كيفما اتفق ، وانما يفسر دلالات العمل الادبي ويوضح العلاقات بين المفردات والرموز ، فما يلبث ان يجد القارئ نفسه يصل الى الحكم تلقائيا قبل ان يذكره الناقد ، وهذا - ان دل على شيء - فأنما يدل على تمكن الناقد من ادواته الفنية اولا ، وعلى قدرته على توظيف معرفته بعلم النفس ثانيا .

---

١) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، ص ٢٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو في النموذج الشعري الذي عرضناه يكشف عن تجربة عميقة تقف خلف مفردات القصيدة ، وخلف المعنى الظاهر . ثم يسير بنا الى المعنى الباطن الكامن في لا شعور قائلها .

وفي النموذج المسرحي يدرك أن المسرحية يجب أن تدرس دراسة كلية ، ويدرك انه لا قيمة لاى حكم على عنصر من عناصرها ، ذلك ان اى عنصر انما يستمد قيمته من ارتباطه وصلته بالعناصر الاخرى . وهذه هي سمة الكائن العضوي ، اذ لا وجود فيه لاى جزء من اجزائه قائما بذاته ، او مستقلا عن الاجزاء الاخرى (١)

ولذلك لم يدرس شخصية " هملت " على انها شخصية قائمة بذاتها بل درس المسرحية كبناء كلي ، ودرس "هملت" كجزء من هذا البناء : جزء يستمد كيانه من علاقاته بالاجزاء الاخرى

وصحيح أن عز الدين اسماعيل درس المسرحية بالاستعانة بعقدة " اوديب " وهي عقدة معروفة في علم النفس سبقه فرويد وارنست جونز بدراسة بعض الادباء والفنانين على ضوئها ، ونحن لنا فيها وجهة نظر خاصة* ، الا ان الشيء الاهم هو قدرته على تفسير العمل الفني كلا مترابطا ، بحيث يؤدي معنى مقبولا وغير مفكك ، بحيث يحل اى تناقض قد يبدو في المسرحية .

---

١) انظر : رشاد رشدي ، نظرية الدراما من أرسطو الى الآن (مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨م) ، ص٦٧ .

*) نحن نرى أن الطريقة التي استخدمت في الوصول الى هذه المسلمة ليست طريقة علمية . ذلك أن أساسها أسطورة فكيف يمكن أن نستند الى أسطورة للوصول الى حقيقة علمية نصممها ونحلل وندرس على هدى منها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي النموذج الروائي استطاع عز الدين ان يقدم لنا تحليلا مقنعا لشخصية كامل بطل الرواية ، وتفسيرا للاسباب التي جعلته يتصرف بتلك الطريقة ، التي جعلت منه انسانا فاشلا غير قادر على ممارسة ابسط حقوقه الزوجية والحياتية . وقد استطاع - من خلال كشفه للدوافع التي تحرك شخوص الرواية ، والتي تحدد سلوكهم اتجاه تلك الدوافع - ان ينفذ الى اعماق شخوص الرواية ، وان يتفهم علاقات الاشخاص فيما بينهم ، ثم علاقاتهم مع ذواتهم .

ونحن نرى ان عز الدين اسماعيل وفق في دراسته التطبيقية عندما استغل المنهج النفسي في تفسير بعض الظواهر الغامضة ، كتردد "هملت" في اخذ الثأر لابيه وفشل كامل في ممارسة ابسط حقوقه الانسانية . وهذا يؤكد ما قلناه غير مرة من ان المنهج النفسي يمكن ان يفسر لنا بعض الظواهر الفنية ولكنه لا يمكن ان يقدم لنا حكما جماليا على النص وهذا ما اعترف به علماء النفس انفسهم . يقول ويلهلم رايش :

" ان الوضع الراهن لعلم النفس الذي - ولنقل عرضا - يعد احدث فروع معارفنا لا يسمح باقامة علاقات سببية جازمة في تفسير العمل الفني "(١) .

ولهذا فنحن لا ندعو الى الاعراض عن المنهج النفسي في النقد الادبي او اهماله ، وانما ندعو الى ان يندمج المنهج النفسي في نظام اوسع للنقد : نظام متكامل* يجمع كل المناهج ، ويستعين بها ، ويتعاون معها . ولسنا من دعاة ان يحل المنهج النفسي محل المنهج الفني او التاريخي ، بل ان يكون مساعدا لهما ، وان يندمج معهما ليؤدي دوره الحقيقي في تفسير النصوص ، وزيادة معرفتنا بها ، واثارة انشغافنا ، ومن ثم الحكم عليها .

---

١) ويلهلم رايش وآخرون ، الانسان والحضارة والتحليل النفسي ، ترجمة انطون شاهين ، دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٩م ، ص٢٢ .

*) كان ممن نادى بأن يندمج منهج التحليل النفسي في نظام كامل للنقد الناقد الفرنسي شارل مورون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما اعتماد المنهج النفسي وحده في النظر الى العمل الادبي دون الحديث عن الناحية الفنية ، ودون الاستعانة بشواهد تاريخية ، فأن مثل هذا التحليل يظل ناقصا ولا يحمل صفة النقد الادبي . وبأمكاننا ان نلحظ ذلك حتى في دراسة فرويد نفسه للفنان الايطالي "ليوناردو دافنشي" . فقد استند فرويد الى الوثائق التاريخية عن الفنان ، كما تحدث عن المقدرة الفنية لديه وعن ابداعه في انتاج الصور واللوحات .

ولهذا فنحن نرى ان ينظر في العمل الفني من الداخل ، ونطالب بألا يدرس بأفكار سابقة ، وان يكون العمل الفني نفسه هو الذي يفرض منهجا معينا . فأذا ظهر في العمل الادبي كثير من القيم النفسية ، فيمكن للناقد ان يغلب المنهج النفسي ، واذا برزت القيم الفنية ، فليغلب المنهج الفني ، وهكذا . اما ان يركز الناقد على منهج واحد يقيس عليه كل الاعمال الادبية مهملا الابعاد الاخرى ، فهذا يقتل العمل الادبي ويجعله تابعا لافكار مسبقة . وهنا نتساءل : لماذا يختار الناقد منهجا يحلل وينقد على هديه ؟ اليس هذا التصنيف الآلي قتلا للروح الابداعية ؟ الا يمكن ان ينطوي العمل الفني الواحد على ابعاد مختلفة ، وقضايا كثيرة ؟

ان ظاهرة غامضة ومعقدة كظاهرة الابداع الادبي لتحتاج الى مناهج كثيرة لتفسيرها : مناهج يكمل بعضها بعضا ولا يناقضه . وما احرانا الا نقف عند منهج واحد نقيس عليه كل الاعمال الفنية ، فما وافقه نأخذ به ، وما خالفه ننبذه ونرفضه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* خاتمـــــة *

درست في هذا البحث عددا من النقاد المصريين المعاصرين الذين طبقوا المنهج النفسي في دراساتهم النقدية . وقد جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول .

كان التمهيد بمثابة تعريف بالمنهج النفسي ، وكيفية دخوله الى الدراسات الادبية والنقديـة في كل من فرنسا وانجلترا وامريكا .

ثم كيفية دخوله الى مصر .

وذهب (الفصل الاول) يشرح العلاقة بين الأدب وعلم النفس ، وتناول بعض الجوانب العملية للصلة القائمة بينهما .

وخصصت (الفصل الثاني) للحديث عن علم النفس والنقد الادبي في مصر ، فعرضت مواقف بعض النقاد المصريين من علم النفس ، ثم تحدثت عن اتجاهات النقاد الذين طبقوا المنهج النفسي .

ونهض (القصل الثالث) بدراسة ثلاثة نماذج نقدية طبقت هذا المنهج وهي :

أ . نفسية أبي نواس " ، لمحمد النويهي .

ب . " أبو نواس " ، لعباس العقاد .

ج . " التفسير النفسي للأدب " لعز الدين اسماعيل .

بعد ذلك توصل البحث الى النتائج التاليـة :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ . أن ثمة علاقة تربط بين الأدب وعلم النفس، اذ يمكن أن يفيد أحدهما من الآخر . وان علم النفس من أقرب العلوم الى الاعمال الفنية ، لأن مادته التي يعالجها تتصل بالمادة التي يعالجها الفن .

٢ . أن المنهج النفسي في النقد الادبي يستطيع أن يكشف عن بعض حقائق الفنان اللاشعورية والتعبيرية وعن بعض العوامل النفسية التي ساهمت في تكوين عمله الفني ووجهتها هذه الوجهة .

٣ . لا يستطيع المنهج النفسي أن ينفرد بنفسه ، فهو وان استطاع أن يوضح بعض الملابسات التي احاطت بالعمل الفني ودفعت اليه يظل عاجزا عن تقديم أحكام قيمية أو جمالية . ولذا فالمنهج النفسي يظل بحاجة الى قسط من المنهج الفني من أجل التذوق ودراسة الخصائص الفنية ومعرفة مدى مراعاتها للأصول المتعارف عليها في أي من الفنون .

٤ . ولهذا فان من الممكن أن يستفاد من هذا المنهج إذا ظل مساعدا لمناهج أخرى مثل المنهج التاريخي والمنهج الفني في إطار منهج تكاملي ، يجمع كل المناهج ويفيد منها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

****

أ. المصادر.

ب. المراجع العربية.

ج. المراجع المترجمة.

د. المراجع الاجنبية.

هـ. الدوريات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ . المصـــادر :

١ . ابراهيم عبد القادر المازني :

بشار بن برد ، دار احياء الكتب العربية ، د . ت .

٢ . ـــــــــــــــ :

حصاد المشيب ، مصر ، المطبعة المصرية ، ١٩٢٥م .

٣ . أمين الخولـي :

رأي في أبي العلاء ، جماعة الكتاب ، ١٩٤٥م .

٤ . ـــــــــــــــ :

مناهج تجديد : في النحو والبلاغة والتفسير والادب ، القاهرة ، دار المعرفـة ، ١٩٦١م .

٥ . شوقـي ضيف :

التطور والتجديد في الشعر الاموى ، ط٦ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١م .

٦ . ـــــــــــــــ :

في النقد الادبي ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م .

٧ . طه حسين :

حديث الاربعاء ، ط١٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥م .

٨ . ـــــــــــــــ :

مع أبي العلاء في سجنه ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩. عباس محمود العقاد :

ابن الرومي : حياته من شعره ، دار الهلال ، د.ت.

١٠. _____ :

أبو نواس : الحسن بن هانيء ، دار الهلال ، د.ت.

١١. عز الدين اسماعيل :

التفسير النفسي للادب ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣م.

١٢. محمد خلف الله أحمد :

من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده ، القاهرة ، ١٩٤٧م

١٣. محمد مندور :

في الميزان الجديد ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤م.

١٤. محمد النويهي :

شخصية بشار ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١م.

١٥. _____ :

نفسية ابي نواس ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب. المراجع العربيـــة :

١. ابو نـواس : حياته من شعره ، بيروت ، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م.

٢. احمد احمد يوسف :

ليوناردو دافنشي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م.

٣. اسعد رزوق :

موسوعة علم النفس ، مراجعة عبد الله عبد الدايم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٧م.

٤. ابن رشيق القيرواني :

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، ج ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٣٤م.

٥. ابو الفرج الاصفهاني :

الاغانـي ، مراجعة عبد الله العلايلي واحمد ابو سعد ، المجلد الاول ، بيروت دار الثقافة ، ١٩٥٥م.

٦. احمد الشايب :

اصول النقد الادبي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠م.

٧. احمد كمال زكي :

النقد الادبي الحديث : اصوله واتجاهاته ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٠ حسام الخطيب :

محاضرات في تطور الادب الاوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية، دمشق ، مطبعة طربين ، ١٩٧٤م .

٩٠ حسين مروة :

دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، بيروت ، مكتبة المعارف ١٩٧٢م .

١٠٠ حلمي المليجي :

علم النفس المعاصر ، ط٥ ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣م .

١١٠ زكريا ابراهيم :

مشكلة الفن ، القاهرة ، مكتبة مصر ، د٠ت .

١٢٠ ساسين عساف :

الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع ابي نواس ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٢م .

١٣٠ سامي الدروبي :

علم النفس والادب ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١م .

١٤٠ سامية احمد اسعد :

في الادب الفرنسي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م .

١٥٠ سيد قطب :

النقد الادبي : اصوله ومناهجه ، ؟ ، ١٩٤٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦. شحادة مطر :

نقد طه حسين للمتنبي ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الاسكندرية مطبوعة على الآلة الكاتبة ، ١٩٨٠م .

١٧. صبرى جرجس :

التراث اليهودى والصهيوني والفكر الفرويدى : اضواء في الاصول الصهيونية لفكر سيجموند فرويد ، ط١ (عالم الكتب ١٩٧٠م) .

١٨. طه حسين :

تجديد ذكرى ابي العلاء ، ط٦ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣م .

١٩. ـــــــ :

خصام ونقد ، ط٩ ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م .

٢٠. ـــــــ :

في الادب الجاهلي ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢م .

٢١. ـــــــ :

من حديث الشعر والنثر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥م .

٢٢. عباس محمود العقاد :

دراسات في المذاهب الادبية والاجتماعية ، القاهرة ، مطبعة دار العالم العربي ، د.ت .

٢٣. ـــــــ :

يوميات العقاد ، باشراف عامر العقاد ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٤. عبد الرؤوف البرجاوى :

فصول في علم الجمال ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨١م.

٢٥. عبد القاهر الجرجاني :

اسرار البلاغة ، ط٢ ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ، ١٩٧٦م.

٢٦. عبد المنعم الحفني :

موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، ج ١ ، مكتبة مدبولي ، ١٩٧٥م.

٢٧. عز الدين اسماعيل :

الادب وفنونه ، ط٤ ، القاهرة ، دار النشر المصرية ، ١٩٥٥م.

٢٨. ـــــــــ :

روح العصر : دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة ، ط١ ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٩٧٢م.

٢٩. عز الدين الامين :

نشأة النقد الادبي الحديث في مصر ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠م.

٣٠. علي عبد المعطي :

مشكلة الابداع الفني : رؤية جديدة ، دار المعارف المصرية ، ١٩٧٧م.

٣١. فاخر عاقل :

مدارس علم النفس ، ط٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨١م.

٣٢. ـــــــــ :

معجم علم النفس ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٣. فايز اسكندر :

النقد النفسي عند آ . آ . ريتشاردز ، باشراف الدكتور رشاد رشدي، مكتبة الانجلو المصرية ، د . ت .

٣٤. قاسم حسين صالح :

الابداع في الفن ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م .

٣٥. ماهر حسن فهمي :

المذاهب النقدية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢م .

٣٦. محمد مندور :

الادب ومذاهبه ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، د . ت .

٣٧. محمد فتحي بك :

مشكلة التحليل النفسي في مصر : دراستها من النواحي العامية والاجتماعية والقضايا التشريعية ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤٦م .

٣٨. محمد النويهي :

ثقافة الناقد الادبي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩م .

٣٩. محمود ذهني :

تذوق الادب : طرقه ووسائله ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤م .

٤٠. محمود السمرة :

في النقد الادبي ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٢. مصطفى سويف :

الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠م .

٤٣. مصطفى ناصف :

دراسة الادب العربي ، ط٢ ، دار الاندلس ، ١٩٨١م .

٤٤. منصور عبد الرحمن :

اتجاهات النقد الادبي في القرن الخامس الهجري ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٧م .

٤٥. نهاد التكرلي :

اتجاهات النقد الفرنسي المعاصر ، وزارة الثقافة والفنون العراقية ، ١٩٧٩م .

٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج ، المراجع المترجمة :

١ . ادموند وسولي :

ليو ناردو دافنشي ، ترجمة طه فوزى ، مراجعة حسن محمود ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٦٤م .

٢ . ارسطو طاليس :

فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣م .

٣ . آيفور آرمسترونج ريتشاردز :

مبادئ النقد الادبي ، ترجمة وتقديم مصطفى بدوى ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣م .

٤ . بول جيم :

علم نفس الجشطلت ، ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق ، مراجعة يوسف مراد ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٣م .

٥ . جان مارى جويو :

مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، ترجمة سامي الدروبي دمشق ، ١٩٤٥م .

٦ . دنيس هويسمان :

علم الجمال : الاستطيقا ، ترجمة اميرة حلمي ، مراجعة احمد الاهواني ، دار احياء الكتب العربية ، د . ت .

٧ . ديفيد ديتشس :

مناهج النقد الادبي بين النظرية والتطبيق ، ترجمة محمد يوسف نجم ، مراجعة احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨. روبرت ودورث :
مدارس علم النفس المعاصرة ، ترجمة كمال الدسوقي ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١م .

٩. ستانلي هايمن :
النقد الادبي ومدارسه الحديثة ، ج ١ ، ترجمة احسان عباس ويوسف نجم ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٥٨م .

١٠. سيجموند فرويد :
التحليل النفسي والفن : ليوناردو دافنشي ودوستويفسكي ، ط٢ ، ترجمة سمير كرم ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٩م .

١١. ـــــــ :
تفسير الاحلام ، ترجمة مصطفى صفوان ، مراجعة مصطفى زيور ، ط٢ ، دار المعارف ، ١٩٦٩م .

١٢. ـــــــ :
سيكولوجية الشذوذ النفسي عند الجنسين ، ترجمة فؤاد ناصر ، بيروت ، منشورات حمد ، د.ت .

١٣. ـــــــ :
الموجز في التحليل النفسي ، ترجمة سامي علي وعبد السلام القفاش ، مراجعة مصطفى زيور ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م .

١٤. ـــــــ :
الهذيان والاحلام في الفن ، ط١ ، ترجمة جورج طرابيشي ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٨م .

١٥. فاليري ليبين :
مذهب التحليل النفسي وفلسفة الفرويدية الجديدة ، ط١ ، بيروت ، دار الفارابي ، ١٩٨١م .

١٦. كارلوني وفيللو :
تطور النقد الادبي في العصر الحديث ، ترجمة جورج سعد يونس ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د.ت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧ . كلفن هول :

علم النفس الفرويدى ، ترجمة محمد فتحي الشنطي ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م .

١٨ . كلفن هول وجاردنز ليندزى :

نظريات الشخصية ، ترجمة فرج احمد فرج ولطفي فطم وقدرى حفني ، مراجعة لويس مليكة ، دار الشايع للنشر ، ١٩٧٨م .

١٩ . لانسون ومايه :

منهج البحث في الادب واللغة ، ترجمة محمد مندور ، بيروت ، ١٩٤٩م .

٢٠ . هارى ويلز :

بافلوف وفرويد ، ترجمة سوقي جلال ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م .

٢١ . هربرت ريد :

الفن والمجتمع ترجمة فارس ضاهر ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٥م .

٢٢ . وليم فلدن أوكونور :

النقد الادبي ، ترجمة صلاح احمد ابراهيم ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٠م .

٢٣ . ويلملم رايش وآخرون :

الانسان والحضارة والتحليل النفسي ، ترجمة انطون ملهمين ، دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د • المراجع الاجنبية :-

1- Allport , G. W. pattern and growth in personality , New Yourk , 1961 .

2- Jones , Ernest , Hamlet and Odipus , Garden City , N. Y , 1954 .

3- C. G. Jung , Modern Man In Search of A soul ; London , BRAD FORD ,

4- Scott , Willbur , Five Approaches to Literary Criticism (U. S. A , 1962).

5- A. N. Whitehead , " Science and Modern World " , Cambridge , 1932 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ) الدوريـــــات :

الآداب ، السنة العاشرة ، ١٩٦٢م
الثقافـة ، السنة الاولـى ، العدد الرابع ، ١٩٣٩م
علم النفس، العددان الاول والثاني ، ١٩٤٥م/ ١٩٤٧م
كلية الآداب ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ، ١٩٣٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

THE UNIVERSITY OF JORDAN
Faculty Of Arts
Department Of Arabic

THE PSYCHOLOGICAL APPROACH AS IT WAS UNDERTAKEN BY CONTEMPORARY EGYPTIAN CRITICS

Bassam M. Outtous

Supervision :

PROFESSOR MAHMOUD SAMRA
Prof. of Literary Critisism & Rbetorics
Vise President for Academic Affairs
University of Jordan

The Date of Defence

" Submitted in Partial Fulfilment of the requirements for the degree of master of Arts in Arabic Lanquage and Literature , Faculty of Arts , University Of Jordan ."

٢٧٧٤٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

This thesis includes a study about a number of contemporary Egyptian critics who applied the Psycological Approach in their critical studies.

The thesis falls in three chapters preceeded by an introduction.

The introduction includes a definition of the Psychological Approach and how it became part of literary and critical studies in France, England, America and then Eygept. The first chapter tackels the relationship between literature, psychology and the practical aspects of the relation existing between them. The second chapter explains Psychology and Literary criticism in Egypt and how the Egyptain critics view it. It also discusses some trends of critics who applied the psychological approach.

The third chapter explains three critical samples that applied this approach;-

1. The Psychology of Abu Nuwas by Muhammad Al-Nuwayhi.
2. Abu Nuwas by Abas Al-Akad.
3. The Psychological explanation of Literature by Eis Al-Deen Ismail.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The research has the following results:-

1. There is a relation between Literature and Psychology, that is both supply the other because what psychology deals with is very close to artistic works.

2. The Psychological Approach in Literary Critisism can uncover some facts related to the innovator and some psychological factors that contributed to directing him in a certain direction.

3. The Psychological Approach can not stand on its own. It needs the artistic value to render its capability of interpretation.

4. Finally, this approach can be of great use if applied to literary studies in comprehensive way where other approaches, historical or artistic can collaborate.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit